

مدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ عن العدد الواحد

الأعلانات يضى عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

✱

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

٤٢٣٦٠ | تليفون رقم
٤٠٥٣٠ |

إلى القرية يا بك ...

أهلاً وسهلاً ببلى بك! ... كيف حالك؟ ... آنت؟
هنا وأوحشت هناك! ... منذ كم سنة لم أرك؟ ... نم أكثر
من ست سنين! ...
وكان هذا اللقاء المفاجئ في ميدان إبراهيم أمام (النيوبار)،
فقال بنا الشيخ في حماسة الشوق ودهشة المفاجأة الى مجلس من
مجالس هذا القهى الحاشد، ثم أخذ يسألني عن أمرى حتى تقع
نفسه ونفضح وده . فلما طال بنا نفس الحديث عطفته مترقفاً
الى عمره المقنود، ففأكرته عهود القرية أيام الشمل جامع
والحبل واصل والنار نادية! فكانت أرسال هذه الذكر
— وأسفاه — ترد عن شعوره الأضم ارتداد الأمواج عن
صخور الساحل! لقد خفت الماضي في ذاكرته خفوت المحتصر؛
فرجحه البعيد لا يكاد يبين إلا في نظرة قصيرة من عينه المتفتحة،
أو نقطة طويلة من نرجيلته المكررة

لشد ما صنعت المدينة بهنا الرجل! كان مكتنز اللحم
قرهّل، ومشوب اللون فانكفاً، وخفيف الحركة فتقلته الأملح،

فهرس العدد

صفحة	
٢٠٠١	إلى القرية يا بك : أحمد حسن الزيات
٢٠٠٢	شهر الثورة : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٢٠٠٦	نظرة الاستقلال القومي : الأستاذ محمد عبد الله عنان
٢٠٠٩	جزيرة الرب : الأستاذ وزوق عيسى
٢٠١٤	عقوبة الأعداء : الأستاذ محمود خيرت
٢٠١٦	مقتل شاعر : الأستاذ علي الطنطاوي
٢٠١٨	خالد بن الوليد : الفريق طه باشا الهاشمي
٢٠٢١	مجاورات أفلاطون : ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود
٢٠٢٤	مصطفى كمال : لأرمستريج — تلخيص حتى غالى
٢٠٢٦	الشمس والطلوع (قصيدة) : الأستاذ جميل صدق الزهاوي
٢٠٢٧	عمرو بن العاص (قصيدة) : عبد الطيف النشار
٢٠٢٧	حبيب قلبي (قصيدة) : فريد عين شوكة
٢٠٢٨	تجيموم البنيا (قصيدة) : الأستاذ شقرى أبو السعود
٢٠٢٨	طفت بالهراء (قصيدة) : الأديب حين شوقي
٢٠٢٨	بين القاهرة وطوس : الدكتور عبد الوهاب عزام
٢٠٣٠	تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا : الأستاذ خليل هنتاوي
٢٠٣٣	في تاريخ الرياضيات : الأستاذ محمد محمد السيد
٢٠٣٥	البريد الأدبي — الأدب البلغاري، في الأكاديمية الفرنسية، مؤلف جديد عن نابليون، أكاديمية الأدب الفكاهي، الشفاليير ديون، الأذاعة اللاسلكية البرية

٢٠٣٧ حقية القدر (قصة) للدافع باور : ترجمة علي كامل
٢٠٣٩ — المكتب (الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي) المحثف
اشهرات التونسيات، أيام بغداد

وصحة الدين وسلامة الثروة ؛ فهل تطمئن على هذه الحال نفس .
وهل تشرق في هذا الوجود سعادة ؟
قللت له وقد تمثل في خاطري ما دهمي القرية وأصاب الأمة
من أمثال هذا الرجل :

لو أن سرارة الريف استقبلوا من أمرك ما استدبرت لما كانوا
على أنفسهم شرأ وعلى قراهم جنابة

فانك لو بقيت في قريتك ، وقت كما كنت تقوم على تدير
ثروتك ، وعاد بنوك من الكلية فاستثمروا علمهم فيها ،
ونشروا مدينتهم وتفاقتهم بين ربوعها وأهلها ، ورجع بناتك من
المدرسة فبثن في نساها النظام والتدبير والتوق بالارشاد والقُدوة ،
ثم فعل غيرك ما فعلت ، إذن لو فر فيها الرزق ، وورف عليها الأمن ،
واتقل إليها العلم ، وتدوّق أهلها المساكين جمال الحضارة ونعم
الصحة ولنة المعرفة ، وشعرت أنت في هذه البيئة شعور الغبطة
والرضا ، لأنك أعنت فريقاً من ضعاف الناس على أن يصموا

بجباتهم ويقوموا بواجباتهم على الوجه الأكمل

ولكن أكثر القرويين متى ارتجع كثيراً من المال ، أو
شدا قليلاً من العلم ، أغلق (المضيضة) ، وخرّب (التوار) ؛
وخلف القرية للفاقة والجهالة والمرض

فلولا أشعة من نور الأزهر الخالد تنتشر في هذه القرى
فتدعو إلى الله ، وتهدى إلى الحق ، لظل الريف وساكنته على
الحال التي عثر فيها التاريخ بطلائع الانسان

أنت لا تزال عميد أسرة مجيدة ، لها في سياسة الأمة صحائف
مشرفة ، وفي ثروة البلاد جهود موقفة ، فافزع الى ماضيك ،
واستصرخ عنيمة الجنس فيك ، واستمد سلطانك على أهلك
وبنيك ، ثم جد الى مسقط رأسك ومهبط نفسك ومنبت عواطفك
ومنشأ هواك ومرتع صباحك وموطن مجدك ومدفن جدودك !
عد إلى القرية يا بلك !!

محمد الزيات

وطليق المشية قيده العلل ؛ ثم كان يعقد مجلسه في القرية فيكون
في جلالة ديوان عرش ، وفي مهابة جلسة محكمة ! يلقى النظرة
مثقلة بالدلائل فتأخذها العيون وعدلاً لا يخلف ، أو وعيداً لا يشفق ،
أو عاطفة لا تكذب ، ويرسل الكلمة موقرة بالمعاني فتلقفها
الأذان أمراً لا يرد ، وقانوناً لا يخالف ، ورأياً لا يتقض ، فأصبح
في زحمة القاهرة قطعة من الوجود المتطفل ، يتسكع في الطريق ،
أو يتقمّع^(١) في القهورة ، أو يتطى في البيت ، وليس له رأى في أمور
الناس ، ولا أثر في جهاد العيش ؛ ولا شأن في طبقات المجتمع ؛
وكان يليل اللسان حافل الخاطر اذا تحدث الى الفلاحين
في شؤون الفلاحة ، فلما حاول مناقلة للمدنيين أحاديث النياسة
والأدب والاجتماع ، قعد به الجهل عن مجاراتهم ، فغلب الوجوم
على نفسه ، وختم العي على فمه !

تخاذل حديث (البك) واسترخى حتى انقلب إلى أنة موجعة
وشكوى أئمة ! قال وهو يطلب من السلام جرة ترسل النار في
الترجيلة الخاملة : منذ حبب إلى أبنائي — وهم في المدارس كما
تعل — أن أقل البيت من القرية إلى الحاضرة ، انقلب وجودي
رأساً على عقب ! فانا أجا كالغريب ، وأعمه كالشريد ، وأمشي
كالتائه . قصت غلة الأرض لا تكأني في زرعها على الناس ،
وزادت أكلاف العيش لاعتمادى في الوجاهة على السرف ،
وفدحتني أعباء الدين فانا من شواغلها في غصة لا تساغ
وكربة لا تنسلى ، وفسدت على سياسة الأسرة ، فالبنون لا يريدون
العمل في غير الحكومة ، والبنات لا يرغبن الزواج في غير المدينة ،
والزوجة تأبى إلا أن تكون كزوجة فلان باشا : لها في كل يوم
ملهى ، وفي كل أسبوع وليمة ، وفي كل شهر (مؤودة) ، وفي كل
عام مصيف . فانا يا صديقي مذبذب العيش بين هنا وهناك ،
لم أستفد من أيا الحضرة من اتساق الأمر واطراد الحياة ، ولم أستعد
محمد الريف من سعادة النفس وبساطة العيش وخلوص الفطرة

(١) يتقمّع : يطرد الباب من فراغه ويطلقه

شهر للشورى . . . فلسفة الصيام

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

لم أقرأ لأحدٍ قولاً شافياً في فلسفة الصوم وحكمته ؛ أما منقته للجسم وأنه نوعٌ من الطب له ، وبابٌ من السياسة في تديره ، فقد فرغ الأطباء من تحقيق القول في ذلك ؛ وكان أيام هذا الشهر المبارك إن هي إلا ثلاثون حبةً تؤخذ في كل سنة لتقوية المعدة وتصفية الدم وحياطة أنسجة الجسم ؛ ولكننا الآن لسنا بصددٍ من هذا ، وإنما نستوحى تلك الحقيقة الإسلامية الكبرى التي شرعت هذا الشرع لسياسة الحقائق الأرضية الصغيرة ، عاملةً على استمرار الفكرة الانسانية فيها ، كي لا تبدل النفسُ على تغيرِ الحوادث وتبدلها ، ولكيلا تجمل الدنيا معاني التزيق إذا أتت على هذه الدنيا معاني التزيق من معجزات القرآن الكريم أنه يدخر في الألفاظ المروفة في كل زمن حقائق غيرَ معروفة لكل زمن ، فيجعلها لوقتها حين يضيحُ الزمانُ العلى في مآهته وحيرته ، فيشغبُ على التاريخ وأهله مستخفاً بالأديان ، ويذهب يتبع الحقائق ويستقصى في فنون المعرفة ، ليستخلص من بين كفرٍ وإيمان ديناً طبيعياً سائماً ، يتناول الحياة أول ما يتناول فيضبطها بأسرار العلم ، ويوجهها بالعلم إلى غايتها الصحيحة ، ويضعف قواها بأساليبه الطبيعية ، ليحقق في إنسانية العالم هذه الشئنة المجهولة التي توهمها المذاهب الاجتماعية ، ولم يهتد إليها مذهبٌ منها ولا قاربها ؛ فما برحت سعادة الاجتماع كالتجربة العلمية بين أيدي علمائها لم يحققوها ولم يياسوا منها ، وبقيت تلك المذاهب كمقارب الساعة في دورتها ، تبدأ من حيث تبدأ ثم لا تنتهي إلا إلى حيث تبدأ

يضطرب الاشتراكيون في أوروبا ، وقد عجزوا وعجزت من يحاول تغيير الانسان زيادةً ونقصاً في أعصابه ؛ ولا يزال مذهبهم في

الدنيا مذهبٌ كتب ورسائل . ولو أنهم تدبروا حكمة الصوم في الاسلام ، لرأوا هذا الشهر نظاماً عملياً من أقوى وأبدع الأنظمة الاشتراكية الصحيحة ؛ فهذا الصوم فقرٌ إجباريٌ تفرضه الشريعة على الناس فرضاً ليتساوى الجميع في بواطنهم ، سواء منهم من ملك المليون من الدنانير ، ومن ملك القرش الواحد ، ومن لم يملك شيئاً ؛ كما يتساوى الناس جميعاً في ذهاب كبريائهم الانسانية بالصلاة التي يفرضها الاسلام على كل مسلم ؛ وفي ذهاب تفارقتهم الاجتماعية بالحج الذي يفرضه على من استطاع فقرٌ إجباريٌ يراد به إشعار النفس الانسانية بطريقة عملية واضحة كل الوضوح أن الحياة الصحيحة وراء الحياة لا فيها ، وأنها إنما تكون على أتمها حين يتساوى الناس في السمور لاحقين مختلفون ، وحين يتعاطفون باحسان الأم الواحد لآخرين يتنازعون باحسان الأهواء المتعددة

ولو حققت رأيت الناس لا يختلفون في الانسانية بقولهم ، ولا بأنسابهم ، ولا بمراتبهم ، ولا بما ملكوا ؛ وإنما يختلفون ببطونهم وأحكام هذه البطون على العقل والماطفة ؛ فمن البطن نكبة الانسانية ، وهو العقل العملي على الأرض ؛ وإذا اختلف البطن والدماع في ضرورة مد البطن مدة من قووى الهضم فلم يبق ولم يدرك . ومن ههنا يتناول الصوم بالتهذيب والتأديب والتدريب ، ويجعل الناس فيه سواء ليس لجمعهم إلا شعورٌ واحد ورحسٌ واحد وطبيعة واحدة ، ويحكم الأمر فيحول بين هذا البطن وبين المادة ، ويبلغ في إحكامه فيمسك حواشيه العصبية في الجسم كله يمنعها تغذيتها ولنسها حتى فتنة من دحينه^(١) . وبهذا يضع الانسانية كلها في حالة نفسية واحدة تلبس بها النفس في مشارق الأرض ومغاربها ، ويطلق في هذه الانسانية كلها صوت الروح يعلم الرحمة ويدعو إليها ، فيشيع فيها بهذا الجوع فكرة معينة هي كل ما في مذهب الاشتراكية من الحق ، وهي تلك الفكرة التي يكون عنها مساواة الغنى للفقير من طبيعته ، واطمئنان الفقير إلى الغنى بطبيعته ؛ ومن هذين : (الاطمئنان والمساواة) يكون هدوء الحياة بهدوء النفسين اللتين هما السلب والايجاب في هذا الاجتماع الانساني .

(١) النخبة كلمة وضناها للسيارة ، وجمها دنائن

وإذا أنت زعت هذه الفكرة من الاشتراكية بقى هذا الذهب كله عبثاً من العبث في محاولة جعل التاريخ الانساني تاريخاً لا طبيعة له

من قواعد النفس أن الرحمة تنشأ عن الألم ، وهذا بعض السرّ الاجتماعي العظيم في الصوم ، إذ يبالغ أشدّ البالغه ، ويدقق كلّ التدقيق ، في منع الغذاء وشبه الغذاء عن البطن وحواشيه مدة آخرها آخر الطاقة . فهذه طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس ، ولا طريقة غيرها إلا التكبّيات والكوارث ، فهما طريقان كما ترى : مبصرة وعمياء ، وخاصة وعامة ، وعلى نظام وعلى فجأة

ومتى تحققت رحمة الجائع الفنى للجائع الفقير ، أصبح للكلمة الانسانية الداخلية سلطانها التافذ ، وحكم الوازع النفسى على المادة ؛ فيسمع النسي في ضميره صوت الفقير يقول : « أعطني . » ثم لا يسمع منه طلباً من الرجاء ، بل طلباً من الأمر لا مفرّ من تلبّيته والاستجابة لمعانيه كما يواسى المتسلى من كان في مثل بلائه

آية معجزة إسرائيلية أعجب من هذه المعجزة الإسلامية التي تقضى أن يحذف من الانسانية كلها تاريخ البطن ثلاثين يوماً في كل سنة ، ليحلّ في محله تاريخ النفس^(١) ؟ وأنا مستيقن أن هناك نسبة رياضية هي الحكمة في جعل هذا الصوم شهراً كاملاً من كل اثني عشر شهراً ، وأن هذه النسبة متحققة في أعمال النفس للجسم ؛ وأعمال الجسم للنفس ؛ كأنه الشهر الصحى الذى يفرضه الطب في كل سنة للراحة والاستجمام وتغيير الميثة ، لأحداث التريم المصبي في الجسم ؛ ولعل ذلك آت من العلاقة بين دورة الدم في الجسم الانساني وبين القمر منذ يكون هلالاً إلى أن يدخل في المحاق ؛ إذ تنتفخ المروق وتربو في النصف الأول من الشهر كأنها في (مدا) من نور القمر ما دام هذا النور الى زيادة ، ثم يراجعا (الجزر) في

(١) أفند ضعف القوس هنا المنى ، فإتحقق الناس (تاريخ البطن) كما يحقونه في شهر رمضان ، وم عروضون البطن في الليل ما منوه في النهار ، حتى جعلوا الصوم تقيراً لمواعيد الأكل ... ولكن الصوم على ذلك لم يحرمهم فواتده

النصف الثاني حتى كأن للدم إضاءة وظلاماً . وإذا ثبت أن للقمر أثر في الأمراض العصبية ، وفي مدّ الدم وجزره ، فهذا من أعجب الحكمة في أن يكون الصيام شهراً قريبا دون غيره

وفي ترأى الهلال ووجوب الصوم لرؤيته معنى دقيق آخر ، وهو - مع إثبات رؤية الهلال وإعلانها - إثبات الإرادة وإعلانها ، كأنما انبعث أول الشعاع السماوى في التنبه الانساني العام لفروض الرحمة والانسانية والبر

وهنا حكمة كبيرة من حكم الصوم ، وهى عمله في تربية الإرادة وتقويتها بهذا الأسلوب العملى الذى يدرب الصائم على أن يمتنع بلخياريه من شهواته ولذة حيوانيته ، ويقيه مصراً على الامتناع مهتئاً له بعزيمته ، صابراً عليه بأخلاق الصبر ، متزاولاً في كل ذلك أفضل طريقة نفسية لاكتساب الفكرة الثابتة ترسخ لا تتغير ولا تتحول ، ولا تعدو عليها عوادي الفرزة

ولإدراك هذه القوة من الإرادة العملية منزلة اجتماعية سامية هي في الانسانية فوق منزلة الذكاء والعلم ؛ ففي هذين تعرض الفكرة مارة مروراً ، ولكنها في الإرادة تعرض لتستقر وتتحقق . فانظر في أى قانون من القوانين ، وفي آية أمة من الأمم ، تجد ثلاثين يوماً من كل سنة قد فرضت فرضاً لتربية لإرادة الشجب ومزاويلته فكرة نفسية واحدة بخصائصها وملاساتها حتى تستقر وترسخ وتعود جزءاً من عمل الانسان ، لا خيالاً يمر برأسه مرراً ؟

أليست هذه هي إتاحة الفرصة العملية التي جعلوها أساساً في تكوين الارادة ؟ وهل تبلغ الارادة فيما تبلغ ، أعلى من منزلتها حين تجعل شهوات المرء مذعنة لفكره ، منقادة لاوازع النفسى فيه ، مُصرفة بالحسّ الدينى المسيطر على النفس ومشاعرها ؟

أما والله لو عم هذا الصوم الاسلامى أهل الأرض جميعاً لآل معناه أن يكون إجماعاً من الانسانية كلها على إعلان الثورة شهراً كاملاً في السنة ، لتطهير العالم من رذائله وفساده ، ومحق الأثرة والبخل فيه ، وطرح المسئلة النفسية لتتدارسها أهل الأرض دراسة عملية مدة هذا الشهر بطوله ، فتهبط كل

وعجيب جداً أن هذا الشهر الذي يدخر فيه الجسم من قواه المنوية فيؤدونها مضرراً روحانيته ليوجد منها عند الشدائد مدد الصبر والثبات والعزم والجلد والخشونة - عجيب جداً أن هذا الشهر الاقتصادي هو من السنة كفاية ٨٧ في المائة . . . فكله يسجل في أعصاب المؤمن حساب قوته وربحه ، فله في كل سنة زيادة ٨٧ من قوته المنوية الروحانية

وسحّر العظام في هذه الدنيا إنما يكون في الأمة التي تعرف كيف تدخر هذه القوة وتوقرها لتستمدتها عند الحاجة ، وذلك هو سر أسلافنا الأولين الذين كانوا يجدون على الفقر في دماهم وأعصابهم ما نجد الجيوش العظمى اليوم في مخازن السبأ والأسلحة والذخيرة

كل ما ذكرته في هذا المقال من فلسفة الصوم فانما استخرجته من هذه الآية الكريمة : « كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كَتَبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . » وقد فهمها العلماء جميعاً على أنها معنى « التقوى » أما أنا فأولتها من « الاتقاء » فالصوم يتقى المرء على نفسه أن يكون كالحويان الذي شربته معدته ، وألا يعامل الدنيا إلا بمواد هذه الشريعة ؛ ويتقى المجتمع على إنسانيته وطبيعته مثل ذلك ، فلا يكون إنسان مع إنسان كحمار مع إنسان يبيعه القوة كلها بالقليل من السلف وبالصوم يتقى هذا وهذا ما بين يديه وما خلفه ، فان ما بين يديه هو الحاضر من طباعه وأخلاقه ، وما خلفه هو الجيل الذي سيرت من هذه الطباع والأخلاق ، فيعمل بنفسه في الحاضر ، ويسمى بالحاضر في الآتي (١)

وكل ما شرحناه فهو آتقاء ضرر جلب منفعة ، واتقاء

(١) يفسر القرآن بعضه بعضاً ، ومن معجزاته في هذا التأويل التي استخرجناه أنه يؤيده بالآية الكريمة في سورة (يس) . « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . . . »

ويشير إلى هذا التأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنما الصوم حجة (ضم الجيم) فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرف ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل : إني صائم ، إني صائم »

والجنة الوفاية يتق بها الانسان ، والمراد أن يتخذ الصائم أنه قد صام ليتق شر حيوانيته وحواسه ، بقوله : « إني صائم إني صائم » أي إني غائب عن الفحش والجهل والشر ؛ إني في حسي ولست في حيوانيتي

رجل وكل امرأة إلى أعماق نفسه ومكائنها ليختبر في مصنع فكره معنى الحاجة ومعنى الفقر ، وليفهم في طبيعة جسمه - لا في الكتب - معاني الصبر والثبات والارادة ، وليبلغ من ذلك وذلك درجات الانسانية والمواساة والاحسان ؛ فيحقق بهذه وتلك معاني الاخاء والحرية والمساواة

شهر هو أيام قلبية في الزمن ، متى أشرفت على الدنيا قال الزمن لأهله : « هذه أيام من أنفسكم لا من أي ، ومن طبيعتكم لا من طبيعتي » فيُقْبِلُ العالم كله على حالة نفسية بالغة السموة يتمهد فيها النفس رياضتها على معالي الأمور ومكارم الأخلاق ، ويفهم الحياة على وجه آخر غير وجهها الكالج ، ويراها كما أتت من طعنها اليوى كما نطع هو ، وكأنا أفرغت من خناسها وشهواتها كما فرغ هو ، وكأنا أزرمت معاني التقوى كما أزرمتها هو . وما أجل وأبدع أن تظهر الحياة في العالم كله - ولو يوماً واحداً - حاملة في يدها الشبحة . . . فكيف بها على ذلك شهراً من كل سنة ؟

إنها والله طريقة عملية لمسوخ فكرة الخير والحق في النفس ؛ وتطهير الاجتماع من خناس العقل المادى ؛ ورد هذه الطبيعة الحيوانية المحكومة في ظاهرها بالقوانين ، والحرارة من القوانين في باطنها - إلى قانون من باطنها نفسه يطهر مشاعرها ، ويسمو بأحاسيسها ، ويصرفها إلى معاني إنسانيتها ، ويهذب من زياداتها ، ويخفف كثير من فضولها ، حتى يرجع بها إلى محور من براءة الطفولة ، فيجعلها صافية مشرقة بما يجتذب إليها من معاني الخير والصفاء والاشراق . إذ كان من عمل الفكرة الثابتة في النفس أن تدعو إليها ما يلائمها ويتصل بطبيعتها من الفكر الأخرى . والنفس في هذا الشهر محتبة في فكرة الخير وحدها ، فهي تبنى بناءها من ذلك ما استطاعت

هذا على الحقيقة ليس شهراً من الأشهر ، بل هو فصل تشاقي كفصول الطبيعة في دوراتها . ولهُوَ والله أشبه بفصل الشتاء في حلوله على الدنيا بالجو الذي من طبيعته السحب والغيث ، ومن عمله إمداد الحياة بوسائل لها ما بعدها إلى آخر السنة ، ومن رياضته أن يكسيها الصلابة والانكماش والخفة ، ومن غايته إعداد الطبيعة للتفتح عن جبال باطنها في الربيع الذي يتلوها

نظرية الاستقلال القومي

وتطبيقها على التاريخ المصري

للأستاذ محمد عبد الله عنان

أشارت إحدى الصحف الانكليزية الكبرى أثناء حديثها أخيراً عن الشئون المصرية ، الى نظرية تاريخية قديمة ترددها السنة الأستعمار في كل مناسبة ، وهي أن مصر لم تكن مستقلة في أى عصر من عصور تاريخها

وترى السنة الأستعمار بترويج هذه النظرية الى غرض واضح ، وهو أن مصر التي لم تتمتع خلال هذه الآماد الطويلة من تاريخها بنعمة الأستقلال والحرية ، ليست جديرة بأن تتخذ مكانها بين الأمم المستقلة ، وأن حكم التاريخ يقضى عليها بأن تكون دائماً مسودة لغيرها من الأمم القوية ؛ فلماذا لا تكون انكلترا هي الدولة التي تنفذ على مصر حكم التاريخ الخالد ؟ ولماذا تحاول مصر أن تقالب قدرها ، وطبيعتها كأمة استعبدت مدى الأحقاب تنافي طابع الحرية والأستقلال ؟

وهذه نظرية باطلة بلا ريب ، يهدسها حكم التاريخ الزهيه الحق ؛ ولكنها أيضاً نظرية خطيرة ؛ وتروجها في العالم المتمدن يضر بالقضية المصرية ضرراً بليغاً ، ويسىء الى تراث مصر التاريخي ، وإلى سمعتها كأمة ناهضة تطمح الى تحقيق استقلالها . ومن الأسف أن هذا القول الباطل في تصور التاريخ المصري ،

رذيلة جلب فضيلة ، وبهذا التأويل تتوجه الآية الكريمة جهة فلسفية عالية لا يأتى البيان ولا العلم ولا الفلسفة بأوجز ولا أكمل من لفظها ؛ ويتوجه الصيام على أنه شريعة اجتماعية انسانية عامة ، يتق بها الاجتماع شرور نفسه ، ولن يتهذب العالم إلا إذا كان له مع القوانين النافذة هذا القانون العام الذي اسمه الصوم ومعناه « قانون البطن »

ألا ما أعظمتك يا شهر رمضان ! لو عرفك العالم حق معرفتك لسألك « مدرسة الثلاثين يوماً »

طنطا

محمد عبد الله عنان

يروج له في مصر ذاتها ، ويتأثر به كثير من يطنى على أذهانهم وعواطفهم سيل الثقافة الأجنبية ، ولا يعرفون شيئاً من تاريخ بلادهم . بل من الأسف أن هذه النظرية الأستعمارية الخطرة ، ما زالت تمثل في تعليم التاريخ في بلادنا وفي معاهدنا ، لأن برامج التعليم الرسمية ما زالت بعيدة عن التحرر من أغلال المؤثرات الأجنبية ، بعيدة عن رعاية النواحي القومية

ولهذا ترى أن نعرض بهذه المناسبة الى بحث هذه النظرية لئلا نرى حظها من التطبيق على عصور التاريخ المصري . وأول ما يلفت النظر ذلك التصوير الخاطيء الذي يصور به نقاب العصور والدول على مصر ؛ فصر حسبها تقول النظرية ، قد غادرت منذ أيام الفراعنة عهد الحريات القومية إلى الأبد ، وتماقت عليها الدول الغالبة تباعاً ، فافتتحها الفرس ، ثم اليونان ، ثم الرومان ، ثم العرب في سلسلة متصلة من السيادة الأجنبية ، وتماقت عليها بعد ذلك دول اسلامية أجنبية من الشرق والغرب ودول الممالك المختلفة حتى كان الفتح التركي ، تاستمرت تحت السيادة التركية حتى كان الفتح الفرنسي و ظهور محمد علي ؛ ولم يطل أمد استقلالها عندئذ ، حتى عادت فوقعت في قبضة الانكليز ، واتصلت بذلك حلقات استعبادها الطويل

وتصور أدوار التاريخ المصري على هذا النحو تصوير خاطيء من الوجهة العلمية ، وتصوير مغرض وضعه الكتاب الغربيون منذ أوائل القرن الماضي — وهم أول من كتب عن تاريخ مصر في العصر الحديث — ومعظمهم متأثر بزوجة الغرب الى استعمار الشرق ، وتبرير هذه النزعة بالعوامل التاريخية والاقتصادية ونشر المدينة الحديثة . وقد كان لدعواهم أثر كبير في معظم ما كتب عن مصر ؛ بل لقد تأثر بها الكتاب المصريون أنفسهم ، وتأثرت بها دراسة التاريخ في مصر وبرامج الرسمية ؛ وأضحى واجياً علينا أن نحارب هذه النظرية الخطرة في كل مناسبة ، وأن نبين خطأها من الناحية العلمية

لقد توالى على مصر حقاً عصور طويلة من الغلبة والاستعباد ، ولكنها تحتمت أيضاً بعصور طويلة من الحرية والأستقلال والسؤدد القوي . وقد قطعت مصر أيام الفراعنة آماداً بعيدة في ظل الحريات القومية والأستقلال اللطيق ، وكانت سيدها امبراطورية مصرية تمتد من قلب السودان الى الشام ؛ وكان

مسودة في ظل هذه الدول؟ وهل كانت حصر الفاطمية، والأيوبية، ومصر في عهد أسرار المناياك المختلفة حتى الفتح العناني، أمة مستقلة أم كانت تزوج تحت النير الأجنبي؟ وجوابنا أنت مصر كانت في تلك العصور أمة مستقلة تتمتع بكامل حرياتها القومية، وكانت أمة سيده لا مسودة، تسير في ميدان الحرب والسلام من ظفر الى ظفر. أما هذه الدول الأجنبية المسلمة التي كانت تتبوأ السلطان والحكم، فلم تكن أكثر من أسرار نازحة أو مستقرة تبوأت الرياسة لأصولها الملوكية أو لمؤهلاتها الخاصة؛ ولم تكن تتولى هذه الرياسة لحسابها الخاص، وإنما كانت تتولاها لحساب الأمة المصرية، وتتمثل باسمها وتأييدها، فكانت تغدو بعد استقرارها أسراراً مصرية خالصة ليس لها مركز للرياسة غير مصر، وليست لها أمة أخرى تمثلها غير مصر؛ وحتى الدولة الفاطمية التي دخلت مصر غازية، لم تشذ بعد استقرارها عن هذه القاعدة، فكانت مصر هي مركز الدولة الفاطمية ومستقرها، وغدت الخلافة الفاطمية مصرية بعد أن كانت مغربية؛ ومنذ الدولة الأيوبية حتى الفتح العناني تظهر الأسر السلطانية في مصر ذاتها، بين القادة والأمراء النابهين؛ ولم تكن تلك العروش والأسر التي قادت الأمة المصرية منذ الدولة الفاطمية الى الظفر في ميادين الحرب، والى مراتب العظمة والبهاء في ميادين السلام والحضارة، سوى عروش وأسرة مصرية أو متمصرة، تعمل جميعاً لمصر وباسمها، ولم تكن تلك الجيوش الباسلة التي لبثت أكثر من قرنين تتلقى ضربات الحملات الصليبية في مصر والشام، وتبث أعمالها وانتصاراتها الروع في أمم الغرب، سوى جيوش مصرية تقودها تلك الأسر التي ارتضتها لزعامتها؛ على أن تلك الأسر الملوكية ذاتها لم تلبث غير بعيد أن فقدت زعامتها السياسية، وأصبحت خاضعة في التعيين والمزل لرأي الأمة المصرية ممثلة في زعامتها الدينية والفكرية؛ ولأنه لمن التعسف أن نخرج من حظيرة الأمة المصرية أسراراً نهبت فيها، وتولت زعامتها بحكم ترأسها للوروث آماداً، وعملت لمصر ولم تعمل لسواها، ولم يبق لها من صبغتها الأجنبية سوى ذكريات النشأ والماضي

كانت مصر الاسلامية إذاً، مذ تقلص عنها ظل الخلافة، أمة مستقلة، وكانت مصر الاسلامية أمة مستقلة حين غزاها الترك العثمانيون وحطموا بها صرح حضارة اسلامية زاهرة

لها في تلك العصور من القوة والعظمة والمدنية الزاهرة، ما لم تتمتع به أية أمة من الأمم الغابرة. وإذا كانت مصر قد سقطت في عصور الانحلال فريسة النير الأجنبي، واستمرت تزوج نحو الف وخمسة عشر عام تحت نير الهكسوس والفرمر، واليونان والرومان، فقد تمت بحرياتها واستقلالها قبل ذلك آلاف السنين ويبدو خطأ نظرية الكتاب الغربيين بنوع خاص في الحكم على تاريخ مصر منذ الفتح الاسلامي، فهم لا يكتفون باعتبار هذا الفتح بدء عصر جديد من الاستعباد بالنسبة لمصر، بل يرون أن مصر كانت طوال الدول الاسلامية التي تعاقبت عليها، أمة مسودة خاضعة لنير الحكم الأجنبي، ويعتبرون هذه الدول كلها، دولا غازية سيده؛ وهو خطأ كبير في فهم الحقائق التاريخية وفي تصويرها. ويجب أن نذكر أولاً أن الأمة المصرية لبثت أيام الفرس واليونان والرومان تحتفظ بطابعها الفرعوني القديم، وأن هذه الدول الغازية لم تستطع أن تجعل من الأمة المصرية المغلوبة وحدة من وحدتها الاجتماعية، وإن كانت مصر قد تأثرت بلا ريب بنفوذ هذه الدول وحضاراتها؛ وعلى هذا فقد كانت مصر في هذه العصور أمة مغلوبة حقاً، ولكن تحتفظ باستقلالها كوحدة اجتماعية. بل لقد استطاعت مصر أن تحتفظ بهذا الاستقلال الاجتماعي، حتى بعد أن أرغمت على اعتناق النصرانية، ولم تندمج قط في الامبراطورية الرومانية، كما اندمجت أمم وشعوب أخرى. ولكن الأمة المصرية شهدت منذ الفتح الاسلامي تطوراً جوهرياً في تكوينها الاجتماعي؛ فقد استطاع العرب في أقل من قرن أن ينشئوا منها أمة اسلامية، وأن يجعلوا منها وحدة اجتماعية من وحدات الامبراطورية الاسلامية الكبرى؛ واندمج الغالب والمغلوب في أمة جديدة موحدة تدين بالاسلام وشرائعه، وتتكلم بلسنته، وتضطر بمروحه؛ ولم يأت القرن الثالث من الهجرة حتى أضحى التمييز عيباً بين السلالة العربية النازحة، وبين السلالة المصرية المسلمة. وكانت مصر حتى منتصف القرن الثالث ولاية من ولايات الخلافة؛ ولكنها استطاعت من ذلك الحين أن تنزع الى الاستقلال في ظل الدولة الاسلامية الكبرى، على يد بعض الحكام والقادة الخارجين على الخلافة؛ وبدأت من ذلك الحين سلسلة الدول الاسلامية المستقلة في مصر

وهنا تعرض النقطة الجوهرية. هل كانت مصر سيده أم

الأجنبي ؟ ونستطيع أن نلاحظ بهذه المناسبة أيضاً أن أدولف هتلر زعيم ألمانيا وسيد مصيرها اليوم ، إنما هو أجنبي نمسوى المولد والنشأة ؛ ومن المعروف أن الأسرة التي تتولى عرش انكلترا اليوم ، إنما ترجع إلى أصل ألماني ، وأن معظم الأسر الملوكية الأوروبية ترجع إلى أصول أجنبية ، وإذا كانت هذه الأسر اليوم لا تتمتع بمثل ما كانت تتمتع به أسر السلاطين من السلطة المطلقة ، فذلك لأن روح العصر قد تطورت ، وعاضت روح العصور الوسطى ، وانتهت الأمم بأن جيلت من العروش رمزاً قومياً ليس غير

وإذا كانت مصر قد رزحت تحت نير الحكم الأجنبي في بعض أدوار تاريخها ، فهي لم تشذ في ذلك عن معظم الأمم القارية التي تتمتع اليوم بكامل حرياتها واستقلالها ، ولنضرب لذلك مثلاً بأمّة عظيمة هي إيطاليا ، التي لم تتمتع باستقلالها إلا منذ أواخر القرن الماضي ، والتي لبثت طوال العصور الوسطى والحديثة مسرحاً لمطامع الدول والغروش الأجنبية ، ولم تستقل فيها سوى البندقية وبعض الجمهوريات الصغيرة . ولنضرب مثلاً آخر باليونان ، وقديمت زهاء ألفي عام رزح تحت نير الحكم الأجنبي ، منذ الرومان فالبنادقة فالترك ، ولم تنل حرياتها القومية إلا منذ قرن فقط ، ولم تنلها إلا بمؤازرة أوروبا النصرانية ؛ وهناك غير إيطاليا واليونان ؛ هنالك هولندة والبلجيك ، وهنالك بولونيا التي لبثت ثلاثمائة عام ممزقة بين دول ثلاث من جيرانها ، وهنالك رومانيا والمجر ، وتشيكوسلوفاكيا ، فهذه كلها أمم حديثة في الاستقلال والحريات القومية ، ولم يقل انسان إنهما من أجل ذلك تستحق أن يسلب استقلالها وأن تسكن إلى نير التغلب إلى الأبد . والغلامنة أننا كلما تأملنا هذه النظرية الاستعمارية في تصوير أدوار التاريخ المصري ، كلما بدأ بطلانها وتصفها وما يحفزها من الغرض والهوى

فليستعرض الشباب المصري تاريخ بلاده. كلما طرقت آذانه هذه النعمة النادرة. فتاريخ مصر ، كتاريخ الأمم العظيمة ، حافل بمواطن الفخار والمجد ، وعصور الحرية والاستقلال ؟

محمد عبد الله عثمان
الحامى

تكسدت على ممر العصور ؛ ولقد كانت الفتح العثماني عملاً هجيباً ، كما كانت فتوح القبائل اليربية لرومة وأقطار الدولة الرومانية ؛ ولم يكن عملاً إنشائياً ، كما كان الفتح الاسلامي ؛ على أن مصر استطاعت في ظل أولئك الوندال أن تسترد غير بعيد كثيراً من مظاهرها استقلالها المحلي ؛ ولم يأت القرن الثامن عشر حتى أصبحت السيادة العثمانية على مصر سيادة اسمية ، كل ما يهم الحكام الترك منها أن يستندوا بعض الموارد والأموال من الشعب المحكوم

ولا حاجة بنا للقول بأن مصر استردت كامل استقلالها في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وإن كانت قد عادت فانضوت تحت لواء أسرة جديدة

عما تقدم يبدو تصوير النظرية القارية لمصور التاريخ المصري بأنها سيادات أجنبية متعاقبة ، واستبعاد متصل للأمة المصرية ، تصفاً لا يؤيده منطق الحقائق التاريخية ؛ ولو طبقنا هذه النظرية الخاطئة على التاريخ القوي لبعض الأمم الأوروبية العريقة في الاستقلال والحرية لانتهينا في شأنها إلى مثل ما ينتهي الكتاب الغربيون في شأن مصر . ولنتخذ فرنسا مثلاً ، فقد رزحت إليها عقب انهيار الدولة الرومانية قبائل غازية من الشمال ، وأقام بها « الميروفنجية » على يد زعيمهم كلوفيس ، منذ القرن السادس مملكة جديدة هي مملكة الفرنج ؛ ولما انحلت أسرة الميروفنجية ، قامت بأمر الفرنج الأسرة « الكارلية » القوية ، وانترعت عرش الفرنج ، واستمرت في زعامة فرنسا حتى أواخر القرن التاسع ، وتبع فيها أميران من أعظم أمراء النصرانية هما كارل مارتل الذي رد العرب في بلاط الشهداء (سنة ٧٣٢) وكارل الأكبر (شارلمان) أعظم ملوك الغرب في عصره ؛ وكان الميروفنجية والكارلية كلاهما من القبائل الألمانية الشمالية ، فهل نعتبر أن فرنسا كانت في هذه العصور أمة مستعبدة رزح تحت حكم النير الأجنبي ، لأن أسراً أجنبية رزحت إليها ، واستقرت بها ، وتولت زعامتها ، وعملت لحسابها وباسمها ؟ وهل نعتبر نابليون (وهو إيطالي الجنس والأصل) قائماً لفرنسا مقتصباً لعرشها وزعامتها ، ونعتبر أن فرنسا كانت في عصره خاضعة للحكم

جزيرة العرب

صفحة بحيرة من تاريخها القديم

بقلم الأستاذ رزوق عيسى

كلمة عرب وأصل معناها . المكتشفات الحديثة . الكتابات الأثرية . ملكة سبأ والسبئيين . مين والعينيين . اكتشاف أسماء ٣٢ ملكا . التجارة القديمة وطرق المواصلات . اللبان والأطياب . المعارف والعلوم في الجاهلية . الفاليد والروايات القديمة . الاله أونيس . الأبطال . وطن السابين الأول . الحروف الهجائية العربية أقدم من الحروف الفينيقية . شهادة من التواريخ القديمة المعهد

ذهب اللغويون والمؤرخون في معنى كلمة عرب مذاهب متعددة ، فمنهم من قال إنهم تسموا باسم جدم يعرب بن حطان ، وذهب فريق الى أن العرب مشتقة من « عربا » وهي مفقودة في الفريية إلا أنها موجودة في العبرية والآرامية بمعنى البادية والصحراء ، ومنهم من زعم أن كلمة (عرباء) وردت في العربية بمعنى خالص في قولهم العرب العرباء أى العرب الخالص ، وهم أهل البادية ؛ وقال آخرون إن اسم العرب وبلادهم التي تدعى جزيرة العرب مشتق من لفظة (عربية) وهي أرض بهامة دعيت بذلك أخذاً من يعرب بن حطان جد العرب الأولين ، وفي فلسطين موضع يسمى عربية أيضاً كما جاء في مرادف الاطلاع

والأقرب الى الصواب أن لفظة عرب مشتقة من (أوربي) الشعرية بمعنى سكان الخيام ، فان كلمة أور - أو - أورو التي أصبحت في عصر البابليين والأشوريين بمعنى مدينة كان يراد بها في عهد الشرين الخيمية ، ثم أطلقت على الدار من باب التوسع (١) وهذا الاشتقاق ليس ببعيد ، لأن العرب من أعرق الشعوب في القدم ، وقد عاصروا جميع الأمم المعروفة في التاريخ كالشميرين والآكديين ، والبابليين ، والهلكتان ، والأشوريين ، والميتانيين ، والحثيين ، والمصريين ، والفرس ، واليونان ، والرومان . وكانت بلاد العرب تعرف عند الأشوريين باسم أربي وأهلها أوربي أو

أوروبي ، ومعناها ديار ساكني الخيام (٢) جزيرة العرب قديمة جداً ، ولا تفوقها في القدم ديار مصر وابل ، وقد جاء في كتاب مصادر البشر لمؤلفه صموئيل لينغ الانكليزي ما نصه (٣) : « عثرنا مؤخراً في أصقاع عربية على أنباء آثار وكتابات ربما ضارعت في قديمها أنباء بلاد مصر والكلدان ، فقد كانت بلاد العرب ، ولم تزل ، من الأقطار المجهولة الوعرة ، ولا سيما في الأزمنة المتأخرة حينما أصبحت مقدسة في نظر أممها ، ولا يجوز للرواد والرحالين الأجانب أن يأتوا أرضها ، قصد الاكتشاف والتنقيب في طولها الدوارس »

وقد توفى نفر من السياح الأوربيين وعلماهم الى التوغل في بلاد العرب ، بعد أن خاطروا بحياتهم وقاسوا من الشاق والأهوال مالا يوصف ، بيد أنهم نالوا مبتغاهم أخيراً ، واكتشفوا مواقع المدن القديمة ، ونسخوا كتابات عديدة وجدوها مطبورة في الأقباض ومسطورة على الجدران التداعية . وفي متاحف أوربة ودور كتبها آثار البلاد العربية المنقوشة على الحجر ، وعلى ألواح نحاسية ، وعددها يبلغ اليوم نحو ثلاثة آلاف عادية . ومن العلماء الذين جاهدوا جهاد الأبطال في الوقوف على مجاهل هذه البلاد الدكتور غلازر « Dr Glasir » فانه راد الديار العربية الجنوبية ثلاث مرات ، ونسخ في خلالها من صور الكتابات التي عثر عليها في رحلته ١٠٣١ صورة حملها معه الى مسقط رأسه ، وبينها آثار نفيسة ، ولا كثرها قائدة تاريخية عظيمة ، إذ وقفت علماء الآثار على ما كانوا يجهلون من تاريخ هذه البلاد ومدنيتها في جاهليتها لقد استفاد الباحثون المدققون فوائد شتى من أنباء تلك الكتابات ومن غيرها أيضاً ، حتى تسنى لهم أن يكشفوا النقاب عن أصل السكان القدماء ، وزيّلوا الغموض والابهام عن تاريخهم ويستقصوا أخبار الأمم الغابرة ، وما كانت عليه البلاد العربية من الحضارة والتجارة في المصور العريقة في القدم ، واليك مقالته الأستاذ سايس : « إن ماضى تاريخ شبه جزيرة العرب المظلم قد

(١) المتون الأشورية ص ٣٠ مؤلفه الأثرى أرنست بديج المطبوع في لندن عام ١٨٨٠

(٢) Human Crigias مصادر البشر ص ٣٧ المطبوع في لندن سنة ١٩٠٩ والمؤلف شار اليه كتب نفيسة وسنها : العلم الحديث والرأى الحديث ، ومضلات المستقبل والزردشية الجديدة الخ

(١) راجع كتاب علم الآثار القديمة في الكتابة للمبارة الخط « فصل الشرين » ص ٨٥ مؤلفه سايس المطبوع في لندن عام ١٩٠٨ م

السبئين والعينيين ، وهذا عدد كبير لا يستهان به ، بالنسبة الى قلة المكتشفات الأثرية في تلك الأصقاع . وجاء في بعض الكتابات أن سلطة بعض الملوك العينييين لم تكن محصورة في المنطقة الجنوبية بل منتشرة في كل بلاد العرب حتى تخوم سورية ومصر ؛ ويؤيد ذلك كل التأيد عثور النقبين على ثلاثة أسماء من أولئك الملوك في أطلال تيماء الوارد ذكرها في العهد القديم من التوراة في الطريق المؤدية الى بلاد الشام وسيناء . وفي البلاد العربية الجنوبية - وجدت صفيحة نذر جاء فيها أن أصحابها يشكرون الآله « اطار »^(١) على نجاتهم من الحرب الناشبة بين حاكم الجنوب وبين حاكم الشمال ، وخلصهم من القتال الواقع بين مظة ومصر ، ويحمدون الآله على عودتهم سالمين الى مسقط رأسهم مدينة قوران ؛ وأصحاب هذه الكتابة يصرحون بأنهم كانوا تابعين للملك معين اللعسو (رابي - يدعى - ياني) وهو أحد حكام بلاد تسار وأشور ووراء ضفة النهر

لقد ورد اسم تسار مراراً عديدة في الآثار المصرية كحصن قائم في جهة الحدود العربية ، وموقعه يمثل اليوم طرفاً من قناة السويس . هذا وكتابة أخرى تشير الى غزة ، وتظهر من مضمونها أن سلطة الحكام العينييين امتدت الى أردم فبلغت فلسطين وماجاورها من البقاع ، والقبائل القاطنة فيها خضعت لسلطانهم . وقد أسست المعامل في البراري والقفار للمحافظة على طرق المواصلات ، وأنشئت المدن العظيمة في تلك الأصقاع النائية لتوسيع نطاق التجارة والعبور منذ القدم ، لأن سيل التجارة بين الشرق والغرب كان متدفقاً يجري بعضه بطريق البحر الأحمر وبطريق خليج فارس ، ومن أطراف هذه المياه الشرقية ينتقل إلى البحر المتوسط ، وبعضه يسير في طرق القوافل مجتازاً آسيا

وكان الاستيلاء على إحدى هذه الطرق يعد وسيلة ناجحة في ترويج التجارة وباباً للمواصلات مع ممالك عديدة ، فان سليمان ملك اسرائيل لما عقد معاهدة مع مدينة صور أخذت تجارة مملكته تنتشر انتشاراً مطرداً حتى بلغت شأواً عظيماً ، وفالت شهرة واسعة ، فقصدها التجار الأجانب من كل فجح وناحية ، والحروب التي وقعت بين المصريين والآشوريين والحثيين والعماليين والبابليين كان منشؤها السيطرة على طرق المواصلات ، ليتسنى للدولة القابضة

انبتق تجره بنته فسطعت أشعته وأنارت وجه المسكونة ، فقد وجدنا أن البلاد العربية كانت قبل عصر صاحب الشريعة الإسلامية زمن مديد أرض الثقافة والأدب والحكمة ، وكانت موقع ممالك ودول قوية بلغت شأواً بعيداً في تاريخ العالم القديم ، وانتشرت في ربوعها تجارة واسعة إلى آخر ذلك المقال البديع^(١) إن زيارة ملكة سبا^(٢) أورشليم ومثولها بين يدي سليمان ملك اسرائيل تعد من اللع الأولى الواردة في الأخبار القديمة ، وقد جاء ذكرها في سفر الملوك من التوراة ، وكانت تلك الملكة عربية ، ويظهر أنها قدمت من ديار كانت لها حضارة عريقة في القدم ، ولها سطوة عظيمة بين الأمم ، والهدايا التي قدمتها الى سليمان تدل على أنها جلبت من حاصلات قطر اشهر بلبانه وأطيباه ، وهذا القطر واقع في جنوبي بلاد العرب ، وقد عرف باسم سبا أو سبا في تاريخ العالم القديم

انتشرت تجارة هذه الملكة القديمة العهد في أقطار العالم ، وامتدت الى بلاد الحبشة والسومال حتى ساحل أفريقية الشرقى ، والكتابات الآشورية تؤيد ذلك ، فقد ورد فيها أن سبا كانت مملكة عظيمة في القرن الثامن قبل الميلاد ، وكانت تخومها تجار تخوم مملكة نينوى من جهة الشمال في عصر (ثقلث فلاسر) وسرجون الثالث ، فيستفاد من هذا التبا وغيره أن بلاد العرب كانت مملكة قديمة جداً ، وقد تدرج الحكم فيها من الملوك الكهنة وحكومات المدن المستقلة ودويلات وإمارات الى اتحاد مملكة عظيمة واسعة الأطراف فسيحة الأرجاء كالتطور السياسي الذي نشأ في مصر وفي بلاد الكلدان . وكان الملوك الكهنة يعرفون باسم (مكارب) كما جاء في بعض الآثار ، وواحد منهم (مكرب) ويراد به رئيس كهنة السبئين . وتدل هذه الكلمة على أن الحكم الأول كان عبارة عن دولة تحت رياسة الله « ظقراسيه » ، هنا ولقطة سبا اسم إله أطلق على بقعة في بلاد عربية ، كما أطلقت كلمة أشور على صقع في بين النهرين وتفيد معنى الآله

ورد في بعض العاديات أن مملكة سبا القديمة تأسست على أنقاض دولة أقدم منها عهداً نشأت في هذا الاقليم وعرفت باسم معين ، فقد عثر الباحثون النقبون على أسماء ٣٢ ملكاً من

(١) راجع ما كتبه في مجلة المعاصر الانكليزية بعنوان (بلاد العرب القديمة) Ancient Arabia

(٢) سبا أو سبا لفظ عبرية معناها الانثوان

(١) لعل هذه اللفظة محرفة عن استار أو اشثار

عام ١٨١٠ اكتشف سيزن أول كتابة عربية فنسخها ونظمها وصفها حسب الحروف الحيرية المنسوبة إلى حمير . وقد قال العلماء إن لغة تلك الكتابة كانت سامية ، وحروف هجائها تماثل الحروف الحبشية ، ويظهر أنها معدلة عن الحروف الفينيقية وهي مكتوبة بصورة عمودية بدلاً من الأفقية

وقد أدت مكتشفات وأبحاث الدكتور غلازر الى أن الكتابة الحيرية قائمة على نوعين أو مجموعتين من الكتابة : فالأولى كانت أقدم من الثانية ، وتتضمن حركات أصلية وصوراً وأشكالاً نحوية ، وقد عدها المستشرقون كتابة معينة ، بينما قالوا عن الكتابة الثانية إنها سبئية ، لأن لهجتها بصورة كتابتها تدل على أنها أحدث عهداً من شقيقتها . وظهر ظهوراً بديلاً أن قواعد الصرف والنحو وأنواع العلوم والأدب الميمنية سبقت آداب وعلوم السبئيين بزمن واقف بحيث أصبحت الأخيرة قابلة لتغيرات عديدة طرأت على مفردات لهجتها ومحصت صرفها ونحوها من الشواذب والزوائد ، وليس في هذا التبدل العجيب يد أجنبية فلتت فعلها الأدبي في فتوحها هذه البلاد ، بل يرى جمهور المحققين أن القبائل العربية تطورت أحوالها بجهودها وانتقلت من مثلة الى أخرى بفعل تدرج عناصرها في سلم النشوء والارتقاء حسب سنة الطبيعة

إن مملكة السبئيين يرجع عهد تاريخ حضارتها الى عصر سليمان ملك اسرائيل ، أي قبل الميلاد بألف سنة ؛ وقد كانت موجودة قبل هذا الزمن بقرون عديدة ، لأن جدول أسماء اثنين وثلاثين ملكاً من السبئيين والسبئيين يدل دلالة واضحة على رسوخ قدم هذه الديار في الحضارة والعمران . ومن المرجح أن المكتشفات القليلة ستقف أبناء هذا العصر على كثير من الأمور التي كان يبجلها أسلافهم . نعم إن أقدم الكتابات المكتشفة تشير الى حضارة وتجارة وعلم وأدب يزقت أنوارها في ديار قي دار . وسالغ قبل عهد التاريخ ، وعليه قال أحد الأثريين : يجب أن تُصَف بلاد العرب في مصاف ديار مصر والكلدان لأنها إحدى الممالك القديمة التي ظهر فيها جماعات من القبائل أبلغوها الى ذروة الحضارة والسؤدد منذ العصور للتوغلة في القمم ، وقد نطقت بعض العاديات شهادة صادقة ، وهي ان جنوب بلاد العرب يرتقى عهد مدنيته الى عصر سرجون والى منيس

على أزمة تلك المسالك أن تزوج تجارة بلادها أولاً ثم تفرض الضريبة على البضائع والأموال التي تمر في أراضيها ، وبهذه الوسيلة يزداد إيرادها وتموى شركتها

كان للبلاد العربية موقع تجاري مهم ، وكانت مركز اتصال بين الشرق والغرب بحميه الصحاري الرملية الوعرة من هجوم الأعداء وتوغلهم في قلب الجزيرة ، وتكتنفه البحور فتدفع عنه غارات الدول ؛ وكان للأصقاع الجنوبية تجارة واسعة وشهرة عظيمة ، فإن اللبان والأطياب كانت تصدر بمقادير كبيرة تنفق في أسواق العالم المعروف في ذلك الزمن القديم ، وكانت توفد في الهياكل والمناج والمعاد وفي قصور الملوك والأمراء وفي دور الأغنياء ، ولم يمكن الاستثناء عنها بوجه من الوجوه ، لأنها كانت مفروضة في الديارات القديمة كالقرايين والمناج . فاذا تناولنا مثلاً هيكل سليمان نجد أن فيه كانت تقرب الذبائح ويوقد البخور لتستعطف (يهوه) رب الجنود ، ومثل ذلك كان يجري في أفوف من الهياكل والمعابد المنبثة في أطراف آسيا ، وكان يجلب معظم اللبان والأطياب المستهلكة في الأماكن المقدسة من بلاد العرب

وقد ذهب الكاتب المحقق صموئيل لينغ أن سبب رواج تجارة اللبان والأطياب في الشرق كان لتطير هواء الهياكل والمناج والمعابد حيث يكثر فيها ذبح الذبائح وإهراق دماء الكباش والبعوض وتنتشر في أطرافها غازات فيتن المكان ويقسد الهواء ؛ وما لاريب فيه أن أحسن اللبان وأنفسه كان يجلب من بلاد العرب . وقد عثر أحد المنقبين على صفيحة جاء فيها « إن الروائح العطرية والأطياب السبئية يفوح شدا عبيرها في السواحل العربية اليمونة »

إن للمكتشفات الأثرية في بلاد العرب فوائد جمة لأنها وقفت طائفة من العلماء البارزين على كثير من أنباء هذه الأمصار وعادات أهلها وأسباب اتساع التجارة التي كانوا يتماطونها مع الديار الدانية والقاصية . وقد أرشدتنا كتابات العاديات الى أن بلاد العرب عميقة في القدم ، ومن ربوعها زرع طوائف من الناس ومصرود دياراً آخر . وكان للبلاد العربية حضارة وعلم وأدب ، ولكتابها حروف هجاء خاصة بهم ، وأسلوب كتابتهم يرتقى الى عهد الكتابة المصرية القديمة وإلى الخط السامري ؛ وقد سبقت بأزمنة طويلة أقدم صور الكتابات بالحروف الفينيقية . وفي

تشير روايات قديمة وتنبئ أسانيد أثرية عن بلاد العرب الجنوبية أو عن البلاد المتصلة بساحل أفريقية من جهة الشمال الشرقى بأنها كانت مصدر الحضارات الأولى ، فقد جاء في أساطير البابليين أن الآله (اونيس) وهو إله الثقافة عندهم كان يخرج من الخليج الأثرى أى خليج فارس ويهذب الكلدان القدماء ، وهو أول من علمهم العلوم ولقنهم الفنون وشهد قدماء الفينيقيين ، وقالوا إن منشأهم كان من جزر البحرين الواقعة في الخليج المشار اليه . هذا والمصريون كانوا ينظرون الى البنط بكل احترام ، ويجلون قدرهم ويرفمون منزلتهم فوق الأمم الأخرى . ومن المؤكد الثابت أن موقع هذه الديار كان يمثل بلاد العرب السعيدة وأرض السومال . وقد ذهب أهل مصر في ذلك العهد الى أن مصدر ثقافتهم ونبوغ آدابهم ومعارفهم ومدنيتهم لم يكن في مصر العليا والسفلى بل في مصر الوسطى في ايبوس حيث حكم توت وأوزيريس ، وهناك مضيق يفصل النيل عن البحر الأحمر ، وهذه الشقة الضيقة من الأرض كانت من أهم وأعظم طرق المواصلات التجارية بين البلاد العربية ومصر

كانت أوامر الألفه والامجاد متينة بين المصريين والبنطيين منذ الأزمنة القديمة ، وهذه قضية تؤيدها الكتابات المصرية القديمة العهد ، فان ما دون في بطون الأسفار عن حسن الجوار بين هاتين الملكتين يخالف ما جاء مسطوراً على الحجر من عبارات النفور والكراهة الموجهة الى سائر الأمم المجاورة لمصر كالحثيين واليبيين والزنوج وغيرهم ؛ فان المصريين كانوا يلقبونهم بالبرابرة ، والوحوش الضارية ، والأوغاد والأندال ، وهذه شهادة ناطقة تثبت ما كان للعرب القدماء من الشهامة وعزة النفس وإغاثة المهوفين وقد جاء منقوزاً في بعض الآثار أن طائفة من السفن التجارية أبحرت الى ديار البنط Punt في عصر الملكة العظيمة (هتسو) وهى إحدى ملكات الدولة التاسعة عشرة ، وكانت الغاية من تلك السفرة مبادلة البضائع بين القطرين دلالة على الولاء والعفاء . وعادت تلك السفن الى مصر مشحونة بالسلع النفيسة ، حتى أن ملك تلك الديار وزوجه رافقا ذلك الأسطول التجارى ، وحمل معها هدايا لانظيرها الى فرعون مصر . ويظهر أن مخالفة تجارية كانت معقودة بين البلادين ، وأن سفن هاتين الدولتين كانت تبحر في البحر الأحمر وفي سواحل أفريقية منذ القدم

إن رسوم رؤساء البنط الطبيعية المنقورة على الأنصاب المصرية تشبه كل الشبه رسوم الطبقة المالكة في ديار مصر في عصورها الأولى ، وجميع الأدلة تحملنا على الاعتقاد أن وطن الساميين الأول كان في الجنوب الغربي من آسيا . وقد ذهب جماعة من المؤرخين الى أن جزيرة العرب كانت مهد الأقوام السامية قبل عصر التاريخ ، فان الباحث يرى آثارهم ظاهرة في كل صقع كشمب مهاجر أو فاتح أو غاز سكان بلاد أخرى أقدم منهم عهداً ويختلفون عنهم في اللسان والمادات والعنصر ؛ غير أن الأمر لم يكن كذلك في بلاد العرب ، فان أهلها كانوا أصليين فيها . فاذا أخذنا مثلاً ديار الكلدان والآشوريين نراها تمثل أقواماً وشعوباً وأممًا جاء عنهم في الأسانيد القديمة وفي الروايات المأثورة أنهم كانوا قد وفدوا على بين النهرين من الجنوب على طريق خليج فارس ، وعلى طريق بادية الشام من بلاد العرب ، فأخذ هؤلاء النازحون شيئاً فشيئاً يتحدون بالشعب الشمري والأكدى بالمصاهرة ؛ وبعد مرور أجيال عديدة تغلب العنصر السامى العربى على سائر العناصر ، وأصبح سيد هذه الديار ، وأسس حضارة جديدة في عصر سحرابى ملك بابل العظيم المدود أول من جمع وسن الشرائع في العالم القديم بيد أن العنصر السامى لم يؤثر في حضارة المصريين القدماء ، لأن الساميين لم يحتلوا بلادهم احتلالاً طويلاً ، بل كانوا يحملون عليهم حملات متواصلة ؛ وقبل أن ترسخ أقدامهم في تلك الربوع كانوا يردون على أعقابهم مذحورين . أما في سورية وفلسطين فكان الفينيقيون والكنعانيون والعبريون ، وهؤلاء الأقوام لم يكونوا بالسكان الأولين ، لأنهم حينما احتلوا هذه البقاع وجدوا فيها عناصر أخرى كالآموريين والحثيين واليبوسيين ، وأصل هذه الشعوب يرجع الى السكان الأصليين المتتمين الى طائفة من القبائل المنقرضة المعروفة في التاريخ القديم باسم زاموسيم ، ومن هؤلاء من وفد الى هذه الديار من خليج فارس ، ومنهم من تخوم بلاد العرب يجيد التقب في بلاد العرب العنصر السامى سائداً منذ الأزمنة القديمة ، ولا يجيد له أثر في صقع آخر في ذلك العهد العهد ، فقد انتشرت لغته وسارت عادته وعمت الديار المجاورة لبلاده ، ثم تدرجت حضارته السابقة لملكة المينيين العريقة في القدم ، وذلك في أواخر العصر الحجري وأوائل عصر النحاس . وهنا يشاهد الباحث العصريين مشبكين متلازمين ؛ فقد انتقل القناصون

المينية ، هذا وإن أنعمنا النظر في الحروف الهيروغليفية وهي الحروف المصرية القديمة ، فلا نجد شيئاً لذلك الحرف إن المكتشفات واللقى المتبلة في بلاد العرب متوقفاً على أبناء الشعوب التي سكنت تلك الاصقاع ومصرتها قبل عصر التاريخ ، فقد كانت بلاد الكنعانيين متحضرة قبل حملة الاسرائيليين عليها وتدوينها ، وكان لهم حروف هجاء وآداب خاصة بهم تمد أقدم عهداً من الكتابة الفينيقية وآدابها . هذا والتنقيب في ديار العرب وفلسطين سيكشف النقاب عن وقائع وأبناء لا تزال مطمورة في أنقاض المدن القديمة التي تضارع بل ربما تفوق في قدمها بلاد مصر والكلدان ، وهي تنتظر بفروغ صبر معاول النقبين لتنبشها من مداخلها وتشرها في عالم الظهور لكي ترى نور الشمس الساطعة ، بعد أن احتجبت عنها قرونًا عديدة

رشاد
زرور عيسى

والسكون من عصر الأخطاط إلى عصر التجدد ، فبلغوا مستوى ثقافة حديثة وحياة اجتماعية عالية ، إذ أصبحوا فلاحين وزارعين وروعة غنم وبجارا وصناعا

لنرجع من تلك الحضارة القديمة ، ولنعد النظر في اكتشاف الكتابة المينية التي تدلنا على وجود حروف هجائية أقدم عهداً من الحروف الفينيقية التي اشتهرت في العالم القديم بأنها الحروف الأولى التي استنبطت لغاية تدوين الأفكار وصياتها من الأندثار والطموس . وقد أجمع أهل التحقيق والتدقيق على أن حروف الهجاء اليونانية والرومانية وسائر حروف هجاء الأمم الحديثة مقتبسة كلها إما رأساً أو بوسيلة من الوسائل من مخترعها الفينيقين ، غير أن كتابة المينيين كشفت اللثام عن صور كتابة أقدم عهداً من جميع الكتابات التي ظهرت وانتشرت في ذلك الحين ، ومن ثم فقد ذهب بعض العلماء الواقفين على أصل اللغة وتركيبها وتاريخها إلى أن الحروف الفينيقية مشتقة من الحروف المينية

لاشك في أن اللغة المينية وحروفها أقدم عهداً بكثير من لغة الساميين وكتاباتهم ، ومن المحتمل أن العناصر السامية اختارت تلك الحروف بعد أن عدلتها وهذبتها حسب طبيعتها وميلها . وكان للمقتبسين علاقات تجارية ومواصلات بريرية ممتدة تحمل على ظهور الجمال فتخترق القوافل صحارى بلاد العرب وتعود حاملة لبائنها وطيوها وأفاويهها وآدابها ومعارفها ، ولا يعقل أن تلك الأقوام استمرت جاهلة استعمال حروف الهجاء حتى اقتبستها فينيقية من مصر ونشرتها في أطراف العمور . وقد أيد الأستاذ سايس هذا الرأي بقوله « إنه إذا ذهبنا إلى أن مصدر الحروف ومقشأها كان في بلاد العرب يكون أحسن حل لهذه المعضلة » لأن أسماء صور الحروف الفينيقية ليس فيها أدنى شبه في كثير من الأحوال للرموز والأشارات التي تمل عليها ، فإن تناولنا - مثلاً - الحرف الأول وهو ألف (نور) فإن رسم الألف يشابه كل المشابهة رأس ذلك الحيوان في الكتابة

كستور الشتاء

شركة مصر للغزل والنسيج

تشرف بأن تعلن حضرات مواطنيها الكرام أنها أتجت من القطن المصرى الخالص

كستورا فاخراً

لموسم الشتاء

اطلبوا بالخاح من التجار الذين تعاملونهم تقديم كستور الشركة أولاً وأصنافه هي :

- (١) الكستور الفاخر (أيض) (٢) كستور النيل (مقلم)
- (٣) كستور فانه (مقلم) (٤) كستور يكتفوقش (أيض)

عقوبة الأعدام

رأى الفرير روكو وزير حقانية إيطاليا

للأستاذ محمود خيرت

في سنة ١٨٥١ ساق بعض الحراس الفرنسيين شاباً في العقد الثالث من عمره الى القفلة تنفيذاً للحكم الصادر عليه . وما كاد يقترب منها وتقع عليها عيناه حتى اضطرب وُجُنَّ ، فوقف وكأنه تستمر في الأرض ، وأخذ الحراس يدفعونه اليها دفعاً ، وهو يقاومهم مقاومة الجبار اليائس ، وكأنت واقفاً الجسم مفتول الساعدين قوى المضلات

وكان الناس من حولهم ينظرون الى هذا الصراع بين قوتين غير متعادلتين تريد إحداها للأخرى الموت ، وتريد هذه لنفسها الحياة . حتى إذا مضت على ذلك نحو ساعة والحراس كلما تقدموا به نحو القفلة خطوة رجح هو بهم الى الوراء خطوتين ، خارت قواهم ولم يجيدوا خيراً من أن يعودوا أدراجهم به ، والناس يظنون أن الأمر وقف عند هذا الحد ، وكأن كابوساً ارتقع عن صدورهم بعد ما رأوه من هول الموقف ، وما كان إلا صراعاً عنيفاً بين حياة وموت . ولكن الجنود عادوا به في المساء بعد أن ضاعفوا عددهم ، وبعد أن أحكموا وثاقه حيث نفذوا الحكم فيه وكان من بين من حضروا هذا المشهد الثير شارل هوجو ، وكان من أنصار إلغاء عقوبة الأعدام ، فوصف ما رآه وأفاض في شناعته بمجريدة الحادث (Evénement) ولكن النائب العام وجه اليه هو ومدير الجريدة تهمة تمعد احتقار القانون

أما شارل فقد كان الذي تولى الدفاع عنه أبوه فكتور هوجو الكاتب الكبير ، وإذا ذكرنا فكتور هوجو فقد ذكرنا قوة الجنان ، وسحر البيان ، وذلاقة اللسان ، ولا سيما أنه إنما كان يدافع عن ولده وفلذة كبده ، حتى أنه قال في بعض ما تناول دفاعه : « أنا المجرم دون ولدى ، لأنى أنا الذى وقتته هذا الموقف ، وكنت من خمس وعشرين سنة لا ألو جهداً في محاربة عقوبة الأعدام . وقد عز على ألا أكون نصيراً للحياة البشرية أطلب احترامها

والأبقاء عليها ، منادياً بذلك في كل وقت وعند كل مقام بأعلى صوتى وعلمى فى ، لأن عقوبة الأعدام بقية من بقايا الدم بالدم شريعة الوحشية الأولى » (١)

وقد كان هناك غير فكتور هوجو كثيرون من أنصار هذه العقيدة ، وأكبر حججهم في شناعة هذه العقوبة أن إعدام المجرمين فوق أنه مناف لقواعد الرحمة ، وأن العقوبة يجب أن يراعى فيها الإصلاح لا الانتقام ، فان منظره يقسى قلوب الناس ، ويبدد فيها بذور الغلظة والتوحش

ولكن كيف نسى هؤلاء المفكرون أن الثورة الفرنسية نفسها التى قررت حقوق الانسان ، والتي يشيد بذكرها فكتور هوجو وغيره لم تقم إلا على الدم ، وكيف يريدون أن تشمل السفاكين رحمة القانون وقد واطوا بأقدامهم هذه الرحمة وهم يقتلون ألا إن شريعة الدم بالدم ، لم تكن أترأ من آثار الوحشية الأولى ، وإنما كانت سبيكاً شريفاً من أسباب العدل ، وأترأ محموداً من آثار الرحمة لا بالمجرمين ولكن بالناس أجمعين

إن طبيعة الحياة نفسها تقضى بتر العضو الفاسد من الجسد حتى لا يتعدى فساده اليه ، فكيف تقبل هذا في الجسم الواحد ولا تقبله في جسم المجتمع كله ، بل إن أبسط قواعد الفهم تربأ بنا أن نسلم أن إفلات المجرم من حكم القانون لا يشجعه على السير في شروره وقد استمرأ طعم المدوان وأمن غوائل العقوبة وعلى كل حال فان عقوبة الأعدام برغم محاولة هؤلاء الأنصار لاتزال قائمة ، مع أنها أبطلت في فرنسا مرة ، وفي إيطاليا بعدها مرة أخرى . ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ... ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب

ومع ذلك فهنا رأى اليسو الفريد روكو بصد هذا البحث ، وحسبنا أنه من أعة التشريع في إيطاليا ، وهو وزير حقانيتها قال : « لما أن كانت إيطاليا من أندر الدول التى أُلنَّت عقوبة الأعدام سألتني كثيرون عما إذا كان القأوها عاد بالفائدة على مجتمعنا ؟ وقبل أن أخوض في الرد على السائلين أسجل هذا الحادث الغريب ، وهو أننا أخذنا هذا التشريع عن الفرنسيين برغم

(١) راجع هنا الدفاع في ص ٤٣٦ من كتاب « قبل المني » طبعة نلسون ياريس

ذلك لأن لكل عقوبة بشرية دائماً وجهين يجب ملاحظتهما
فاذا ما نظرنا إلى الجريمة من حيث الفرد الذي أقدم عليها في
ذاته كان ماذهب إليه لبروزو من عدم قيام المسؤولية الجنائية
بسبب ما يحيط به مقبولاً ، لأنه وإن كان حراً فيما فعل إلا أنه
ما كان في مقدوره أن يفلت من تأثير الأسباب الباطنة الراسخة
فيه . وفي هذا الموقف يجب اعتبار العقوبة كوسيلة من وسائل
إصلاحه لا كمقوبة يراعى أن يتساوى أثرها مع أثر الجرم الذي
أقدم عليه . وفي الواقع كيف يسوغ لك أن تعمد شخصاً كان في
جرم تحت سلطان قانون الوراثة ، أو تأثير البيئة ، أو كانت نفسه
فقيرة من أسباب التهذيب والتربية ، بقدر أن تكون قاسياً عليه
ببداً عن إنصافه ؟

أما إذا اعتبرناه عضواً في جسم المجتمع الذي يعيش فيه ،
فواخذته على هذا الاعتبار يجب أن يكون لها صفة العقوبة التي
يستحقها وإن كانت صارمة

وإذا سألتني الآن رأبي في ضرورة عقوبة الأعدام ، أجبك
بأنها يمكن أن تكون كذلك في أغلب الأحوال . بل إنني لأعلم
أن كثيراً من الجرائم الوحشية التي تستحق الأعدام كان يمكن
الالتقاع لو أن هذه العقوبة الشديدة قائمة كالجرائم التي تقع
من الفوضويين

وقد ذكرني هذا البحث بمحاوثة ضمنها القصصى الفرنسى
جول فيرن في احد كتبه تلتخص في أن بعض المهاجرين كادوا
يفرقون على مقربة من إحدى جزر المحيط الهادى ، ولم يكن على
ظهرها غير فيلسوف فوضوى نفر من العالم وفر منه إليها . فلما
أقبلوا عليه أكرمهم ودعاهم إلى اعتناق مذهبه . ولكن أسباب
الحياة تغيرت بعد قليل ودب الخلاف فيما بينهم ، فلم ير لنشر السلام
بينهم إلا أن يفرض عليهم إرادته فرضاً فكان مثله فيهم كمثل
الحاكم المستبد (ديكتاتور)

وهذه الناية لا تبعد عن نظرتي في العقوبة كثيراً ، فالأحكام
التي يقرها قانوننا الجنائى أشبه بهذا الحاكم ، بغيرها لا يكون
هناك أمن على الحياة ، وإنما تكون الفوضى ... »

محمود خميرت
بقلم قضايا المالية

أنهم بعد أن جربوه عدلوا عنه للتأنج الخطيرة التي ترتبت عليه .
أخذناه عنهم على سبيل التجربة نحن أيضاً ، وكان ذلك في عهد لم
يكن يخطر ببالنا قيام نظام الفاشستية فيما بعد ، وعلى كل حال
فان هذا الإصلاح الذى فكر الشارع الايطالى في إدخاله على
قوانيننا الجنائية لم يجرنا إلى الفشل الذى أصاب جيراننا من
إدخاله على قوانينهم

ولكن يلاحظ أن هبوط نسبة الجرائم بعد هذا التمديل
لا يمكن في الواقع لرجاعه إلى مجرد إلغاء هذه العقوبة ونحن نرى
انخفاضها في كثير من البلدان التي جرت قوانينها على إعدام القتل
على أننا مع ذلك غير آسفين لسن تشريع كهذا هو مما لا شك
فيه انجاء محمود نحو الفرق بالإنسانية . بل إن أنصاره عندنا لم يحدوا
حدو رويسبير الذى أرسل كما نعلم آلاف الأبرياء إلى المقصلة ، وهو
هو الذى كان يشيد بذكره ويمتد بقاء عقوبة الأعدام ضرباً من
ضروب الوحشية

وقد دل إحصاء عدد الجرائم التي كانت تستوجب هذه
العقوبة بعد الحرب الكبرى على اطراد في هبوط النسبة التي
أشرنا إليها ، فان عدد حوادث القتل من سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٢٠
ينيف على ستة آلاف حادثة ، ولكن هذا العدد هبط في السنة
الأخيرة إلى أكثر بقليل من ألفين ، إلا أن جزءاً كبيراً من هذا
العدد الأخير يتعلق بالجرائم التي لا يمكن لأية عقوبة مهما كانت من
الشدّة أن تحول دون وقوعها كالجرائم التي أساسها الشهوات
الشائرة وما يترتب عليها « crimes passionnels » كما يسميها
الفرنسيون ، لأنها بطبيعتها لامناص من وقوعها ؛ فالرجال والنساء
إذا لدغتهم الفيرة أو خدعوا في حب وجدوا كل شئ تقع عيونهم
عليه مصبوغاً بالدم ، فلا يلبثون أن يندفعوا إلى الأثم مهما وقفت
بينه وبينهم كل عقوبات الدنيا ، حتى ان مملكتى محاكم البلدان
اللاتينية أصبحوا على اعتقاد ثابت بأن هذه الجرائم لا يمكن
تجنبها ؛ ولذلك فهم يقضون في الثالث براءة من يساقون إلى
ارتكابها . على أنني وإن كنت أميل إلى هذا الاتجاه — لأن
هذه الجرائم لا تخلو دائماً من ظروف مخففة تحيط بها — إلا أنني
أرى أن تعليل هذه الأحكام دائماً باضطراب الحواس عند ارتكابها
فيه كثير من التطرف

مقتل شاعر...

للأستاذ علي الطنطاوي

— إذن لأجملتها والله أحدوثة الأبد
— شأنك بها يومئذ . . .

وكان ما ظننت فاطمة فيبت زيادة هدية وأهل بيته ، وم
عنه غافلون ، ف ضرب هدية على ساعده ، وشجّ أباه خسرماً .
وانصرف يقول :

شججنا خسرماً في الرأس عشرأً ووقفنا هدينة إذ أنا
فارت نائرة هدية ، فتقلد سيفه وانصرف لا يلوى على شيء ،
حتى وجد زيادة فجلبه به فقتله . ولما سكت عنه الغضب ، ورأى
أنه قتل رجلاً مسلماً ندم وجعل يلوم نفسه ويقرعها :

— ويل لي ! ماذا صنعت ؟ أعدت الى ابن عمي فقتلته ،
ومن قتل نفساً مؤمنة فكأنما قتل الناس جميعاً . أفعلتها من أجل
هفوة لا تقدم ولا تؤخر : يا نفس ما أضلك وأشقاك ! ألم يرد عليك
دين ؟ ألم يحجزك إيمان ؟ ألم تُهنه من عزمك جهنم ؟ ماذا تقولين
لربك غداً ؟ وانطلق يقول لها هذا وشبهه حتى طلع الفجر . . .
وكان الند ، فإذا عبد الرحمن «أخوزيادة» عند أمير المدينة

سعيد بن العاص يشكو اليه قتل أخيه . وأحضر سعيد هدية ،
فلم ينكر ولم يكذب وكره سعيد أن يقتل هدية ، وهو
الشاعر المتقدم ، لسان بادية الحجاز ، وهو أخو ثلاثة كلهم شاعر :
حوط وسيحان والواسع . . . وهو الفارس الكريم المحبوب . .
ولم يكن يستطيع أن يعفو أو يغير حكم الله
فبث بهما سييد الى « معاوية »
وكان معاوية ضنينا بهذا الشاعر أن يعرضه على القتل ،
ولكن حكم الله فوق هوى أمير المؤمنين . . . فلما مثلاً بين
يديه ، قال عبد الرحمن :

— أشكو اليك يا أمير المؤمنين مظلمتي ، وقتل أخى ،
وترويع نسوتي !

فقال معاوية :

— يا هدية ! قل

— فقال هدية « مرّجلاً » :

ألا يا قومي للنواب والدهر والمرء يردى نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالح قد تلمات عليه فوارته بلعاعة قفر
فلا تتق ذاهية لجلاله ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر
حتى قال :

رُميناً فرامينا فصادف رميناً منايا رجال في كتاب وفي قدر

أفاق « هُدَيْة بن خَشْرَم » وما يدري أصبح أم مساء ،
وما يعلم من أمر حياة شيئاً . . . ولقد غرّب عليه سبعة أعوام
ما رأى فيها وضوح النهار ، ولا اجتلي صفحة السماء . كأنما هو
نصف حي ، وكان حياته « مختصر حياة » . . . فالتسنوات السبع (١)
بنميمها وبؤسها ، وليلها ونهارها ، ليلة واحدة ، طالت وامتدت ،
ثم لا يكون صباحها إلا الموت . . . والدنيا على رَحْبها وسَعَمها ،
وجالها وجلالها ، غرفة ضيقة فيها أكثر معاني القبر . . .
وما بعدها إلا القبر !

ونظر يميناً ، ونظر شمالاً ، وجمل ينفض المكان بيته ، فلا
يصر إلا الظلام ، وحاول النهوض فجذته الى الأرض سلاسل
غليظة ، شدوه بها الى حلق متينة . . .

سمع صلصلة الحديد في عنقه ويديه ، فعاد الى نفسه يذكر
ما كان من أمره ، ويستعيد قصته كلها ، ويرى كيف . . .
. . . دخلت عليه أخته فاطمة ، ويدها المجرم ، فقال لها :

— وبحك ما هذا ؟

— هذا لك ! قم استجمري ، إنما أنت من النساء !

— وما ذاك لا أم لك ؟

— فقالت : أنت قابع في كسبر الخيمة كما تتبع العجوز ،
وهذا زيادة يتنزّل في أختك ، ويرسل فيها الشعر يفضحها به
في العرب

— ماذا ؟ زيادة ؟

— زيادة ! نعم . زيادة يهتك نساءك ، ويفرى عرضك . . .
فوث هدية يقول : زيادة يهتك نسائي ، ويفرى عرضي ؟ . .
والله لأجأته بهذا السيف . فقامت اليه تعنّفه وتلومه :

— والله ما علمت أنك مجنون إلا الساعة ! أتمدّد الى ابن
عمك فقتله ، فتحقق ما قاله في ، وتنصرف بسية الدهر ؟ قل
في أخته « أم قاسم » مثل ما قال الخبيث في أختك ، فإذا بدأك
بالشر ، جزيته به شراً

(١) حبه معاوية سبع سنين في المدينة لبيستمره ، وقيل بل حبه
ثلاثاً فقط « الأغاني »

ثم انتهى به الى الحرّة ، وقد جلس فيها الأمير سعيد بن العاص ووجهاء المدينة ، وأقيم السور ليقول كلمته . وقام اليه رسول معاوية فعرض عليه عشر ديات من خالص مال أمير المؤمنين ، فأبأها ، فعرض عليه سعيد ووجهاء المدينة أضاعفها فأبى الا قتل هدية . . .

فاصفرت وجوه الناس ، وودوا لو حالوا بالقوة بين هدية وبين القتل ، ولكن حجّزهم احترام الحق ، ومنعهم هيبه الدين فلبثوا صامتين كأن على رؤسهم الطير ، ونظروا الى هدية . فرفع رأسه وأنشد بصوت شجيّ رائع :

ألا علاني قبل نوح التوايح وقيل ارتقاء النفس فوق الجوائح
وقبل غدٍ يالهف قلبي من غدٍ إذا راح أحبابي ولست براح
إذا راح أحبابي تفيض عيونهم وغودرت في الحذر على صفائح
يقولون هل أصلحتم لأخيكم وما القبر في الأرض الفضا بصالح
فضج النسوة بالبكاء ، وماج الناس ، فأشار اليهم فأسكتهم ، وخطب امرأته وكانت من أجل النساء وكان أجدع :

أقلى على اللوم يا أمّ بوزعا ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا
ولا تنكحي إن فرّق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأزعا
ضروباً بلحيه على عظم زوره إذا الناس هشوا للفعال تقنعا
وحلى بندي أكرومة نوحية وصبر إذا ما الدهر عرض فأمرعا
وعمرى الناس صمت عميق ، وأقبلوا ينظرون بماذا تجيب هذه المرأة : أتني وهي الشابة الجميلة الفتاة لرجل أجدع هو الساعة ميت ، وتقيم على عهد ، وتجرم على نفسها من أجله الرجال ، أم هي تغده وتغتيه ، حتى إذا مات انطلقت فتزوجت ؟ وجعلوا يهامون ، ويتقولون . . .

أما هي ، فلم يكن منها إلا أن مالت الى رجل ، فالتته شيئاً ، ثم أرسلت ملحفها على وجهها هنيئة ، ثم عادت فاذا . . . فاذا هي قد جدعت أنفها ، وقطعت شفتيها . . .

وقالت : يا هدية ! أتراني متروجة بعد ما ترى ؟ .. فقال : لا ، الآن طالب الموت ، ثم استأذن في ركبتين فصلأها وخفف ، ثم التفت الى من حضر ، وقال : والله لولا أن يظن بي الجزع لأظلمها ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما

ثم تقدم من السور وقال :
أثبت قدسيك ، وأجد الضربة ، فاني قد أيتمتك صغيراً
وأرملت أمك شابة . . .
على الطنطاري

فلما رأينا أنما هي ضربة من السيف أو إغضاء عين على وتر عمدنا لأمر لا يعير والذي خزائنه ولا يسب به قبرى وأنت أمير المؤمنين فما لنا فان تك في أموالنا لم تضق بها فقال معاوية :

— أراك أقررت بقتلك صاحبهم
وكره أنت يقتله ، وما كان له أن يعفو ، ففكر ثم قال لعبد الرحمن :

— هل زيادة ولد ؟
قال : نعم ، السور ، وهو غلام صغير لم يبلغ ، وأنا عمه وولي دم أبيه

قال : إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق . والسور أحق بدم أبيه ، فليرد هدية الى المدينة ، فليجسب بها حتى يرشد السور فيكون له حكمه في القاتل

وتبته هدية وسمع مرة ثانية صلصلة الحديد ، وأحسن بدنو الساعة التي يقف فيها على شفير الهاوية فاما الى موت ، وإما الى حياة . فجزع واضطرب ، ثم أدركه من نعمة الايمان ما يدرك كل مؤمن حاق به خطر ، فسكن واطمان ، وراح يهدى نفسه ويسكها . . . ويقول :

عسى الكرب التي أسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ، ويفك عان ويأتي أهله النائي الغريب (١)

فلما كان صباح تلك الليلة ، لم يسمع في المدينة إلا نياً واحداً ، يجري على كل لسان ، ويلج كل أذن :

— اليوم يوم هدية — اليوم ينلم الى السور بن زيادة ليحكم فيه — إنه سيقتله — بل سيفو — لن يفوعه — لن يقتله . . .

وخرج الناس إرسالاً الى الحرّة ، فلم ير مثله من يوم ، خلت فيه المدينة إلا من شيخ قان أو امرأة عاجزة ، وانتقلت بأهلها الى الحرّة . . .

وما هي حتى جىء بالرجل وهو مثقل بالحديد ، وقد صدئ عليه وحز في جسمه ، وبلبت من دونه ثيابه . فاج الناس وازدحموا بالنالك ، واثرابت الأعناق ، وارتاع النساء وأجفلن وعمرهن رعدة . . . ثم فاضت منهن العيون شفقة ورحمة

بين فنس التاريخ وفنس الحرب

١١ - خالد بن الوليد *

في حروب الردة

للفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان الجيش العراقي

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في يدني
شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأتنا أموت على فراشي
كما يموت البشير ! فلا تملك أعين الجبناء ،
هالدي به الوليد »

فوصلت المقدمة مساء الى القرب من ثنية اليمامة ولقيت
مفرزة من بني حنيفة نياماً في أسفل العقبة قباغتهم وأسرتهم ؛
وكانت هذه المفرزة مؤلفة من ستين رجلاً بقيادة جماعة بن مرارة
أحد رؤساء بني حنيفة

والروايات جميعاً متفقة على أن جماعة خرج من اليمامة على
رأس سرية يطلب بثأره في بني عامر وبني تميم ، لأن بني عامر
منعوه من أن يتزوج خولة بنت جعفر . وبعد أن باغت بني عامر
عاد بمخولة ووقف في أسفل العقبة مع رجاله ليبيت ليلته هناك
وإذا المسلمون يباغتونهم ويقودونه مع رجاله أسرى الى خالد

والذي يلوح لنا أن جماعة كان يراقب مجي جيش المسلمين
من الثنية - أي عقبة الحيسية . ويظهر أن قوة المسلمين باغته
دون أن يستطيع التملص منها ، فلما وقف أمام خالد زعم أنه
خرج للثأر

وتزعم الروايات أن خالداً قتل رجال جماعة لتأكده كفرهم ،
واستبقى جماعة ليستفيد منه في حركاته على مسيلة . فياترى هل
تواطأ جماعة مع خالد على مسيلة ، أو أنه تأكد نصر المسلمين فأراد
أن يسوغ موقفه أمامهم ففرض الخدمة على خالد ؟ أو أنه خرج
برجاله ليلتحق بجيش المسلمين فيدلمهم على عورات أعدائهم ؟ ذلك
مالا نعلمه العلم الأكيد . والمحقق أن جماعة ظل محجوراً عليه في

(*) وهو بحث في قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل
« الرسالة »

مسكر خالد وقام بالوساطة بين خالد وبني حنيفة لعقد الصلح بعد
اتكسار جيشهم في عقرباء ، فأفاد الفريقين بتلك الوساطة
ولا بد أن خالداً استجوب جماعة فاستقى منه جميع الأخبار
الوثوق بها عن مسيلة وجيشه ، فعلم منه أن مسيلة ينتظر
وروده في عقرباء

المعركة

في رواية نقلها ابن حبيش أن خالداً لما تثبتت من عسكرة
جيش مسيلة في عقرباء شاور أصحابه في الأمر فأشاروا عليه
جميعهم أن يتقدم نحو عقرباء . وكانت الأخبار تم على أن طليعة
الحنفيين يقودها الرجال ، وهو من رؤساء بني حنيفة ، فتقدم خالد
حينئذ بجيشه نحو العدو . فجعل أبا حذيفة على اليمنة وشجاع
ابن وهب على الميسرة ، وكان زيد بن الخطاب يحمل راية المهاجرين ،
وثابت بن قيس يحمل راية الأنصار . وعزير خالد برأ بن مالك من
قيادة الخيالة وأحل محله أسامة بن زيد

أما جيش مسيلة فكان مولياً وجهه شطر الشمال الغربي
ومتربكاً في سهل عقرباء بين جبل صليوخ ووادي حنيفة . فيستدل
من ذلك على أن الأرض كانت صالحة لاتخاذ نظام القتال والحركة
الخيالة ، وتم الروايات على أن رجلاً جنوية مغبرة هبت في وجه
المسلمين وزحزحهم عن مكانهم في القتال - أي أنب جهة
المسلمين كانت موجهة نحو الجنوب الشرق . ويظهر أن قوة
الرجال انسحبت لما رأت المسلمين قادمين نحوها . وكان جيش
مسيلة مرتباً على الأسلوب الشائع ومنقسماً الى ثلاثة أقسام :
اليمنة والميسرة والقلب - ولم يكن الضمن خلفه لأن قرى بني
حنيفة كانت في الخلف على ما نعلم

وكان محكم بن طفيل - وهو من أجل رؤساء بني حنيفة -
شأناً على اليمنة ، والرجال على الميسرة ، وشرحيل بن مسيلة يقود
القلب . فكان مسيلة وراء القلب يراقب مجرى القتال
وبعد أن قضى المسلمون ليلتهم في عقبة الحيسية - أي ثنية
الجماعة - واستوثق خالد من أمر جماعة ، تحرك الجيش صباحاً
وكانت الشقة بينه وبين عقرباء مسير يوم . وفي رواية نقلها
الطبري أن الموقع الذي باغت المسلمون فيه جماعة بن مرارة يبعد عن
عسكر مسيلة مسير ليلة . والحقيقة أن المسافة بين العقبة وعقرباء
لا تزيد على خمسة وعشرين ميلاً - أي مسير يوم في ذلك الزمن

جهودهم استطاعوا أن يهزموا الحنفيين . وفي الصفحة الثالثة اعتصم الحنفيون في الحديقة فحاصرها المسلمون من كل صوب ودخلوها عنوة وقضوا على البقية الباقية من الحنفيين ونذكر فيما يلي مجرى القتال في كل صفحة من الصفحات الثلاث :

الصفحة الأولى

بدأ القتال صباحاً بتحسيس القواد رجالهم بالكلمات المأثورة والخطب الحماسية . فنادى شرحبيل بن مسلمة في رجاله قائلاً : « يا بني حنيفة اليوم يوم النيرة ، إن هزتم تستردف النساء سيئات وينكحن غير حظيات . قاتلوا عن أحسابكم واهينوا نساءكم »

وكان في أول القتال براز من الفريقين كما جرت عليه عادة العرب ، قتل في هذا البراز الرجال بن عنقوة الذي كان في طليعة الحنفيين قبل القتال . وكان على الميسرة قتلة زيد بن الخطاب ، ويظهر أن رؤساء آخرين من بني حنيفة قتلوا في البراز مما حمل الطبري على القول : « قتل الرجال وأهل البصائر من بني حنيفة » وبدلاً من أن يوهن هذا القتل عزائم بني حنيفة شدد عزيمتهم فتذاثروا وحمل كل قوم في ناحية . وبلوح من مجرى القتال أن الضربة كانت قوية من الجانب الأيمن على ميسرة المسلمين فزحزحتها من محلها وتراجعت منكسرة لا تلوى على شيء . فآثر ذلك في موقف القلب فرجع متقهقراً وبنو حنيفة بطاردونه إلى أن وصلوا إلى المعسكر فقطعوا أطناب الخيام

ومن الروايات ما يزعم أن رجلاً جنوبية مغبرة هبت في وجوه المسلمين فضعفت صفوفهم ، فاستفاد بنو حنيفة منها فهزموا المسلمين حتى أزاحوهم من محلهم وطاردهم إلى المعسكر فدخلوا في الفساطط فرعبلوه بالسيوف

والروايات متفقة على أن بعض الأعداء دخل خيمة خالد بن الوليد وكان فيها جماعة مكبلاً بالحديد قيد مراقبة أم تميم التي تزوجها خالد بعد قتله مالك بن نيرة . فأراد الحنفيون إنقاذ جماعة فهموا بقتل أم تميم إلا أنه منعهم من ذلك . فقال لهم : « لا تتشغلوا في المعسكر ، ودونكم الرجال » ففي مثل هذا الموقف الحرج برز خالد إلى الميدان شاهراً حلامه تشجيعاً للمسلمين ومنادياً بشعار « يا محمداه ! »

والظاهر أن خالداً قضى ليلته التي سبقت يوم المعركة قريباً من جيش مسيلة ، لأن المعركة بدأت صباحاً واستمرت إلى العصر . وكان الموقع الذي اختاره كثيراً مشرفاً على الخيامة كما ينقله الطبري . وسبق أن رأينا من وصف فلي لراية الالبكين أنها تشرف على وادي حنيفة وتسلط على الأرض الممتدة إلى الجنوب . فالأرض في الشمال تسلط على الأرض في الجنوب ، وكان لوضع الأرض على هذه الصورة فائدة لجيش المسلمين

وليس لدينا معلومات عن تعبئة المسلمين في ميدان القتال ، وتدل الأخبار على أن أبا حنيفة كان يقود اليمينه وشجعاً للميسرة ويزيد بن الخطاب القلب وأسامة بن زيد الخيالة . فهل كان كل من المهاجرين والأنصار على مجنبه من المجنبتين ، وكانت القبائل في القلب ؟ أو أن المهاجرين والأنصار كانوا في القلب وكانت القبائل في المجنبتين ؟ أو أن المهاجرين كانوا في القلب مع قبائل الحجاز ، وكان الأنصار على إحدى المجنبتين وكانت قبائل البادية في المجنبه الأخرى ؟

هذه أسئلة تصعب الإجابة عنها . والواضح من مجرى القتال أن إحدى المجنبتين (ولعلها الميسرة) انهزمت فتلاها القلب ووصل إلى الخيام في الضعن . وأن أهل القرى - المهاجرين والأنصار وأهل الحجاز - عزوا هذه الهزيمة التي كادت تقضى على المسلمين إلى أهل البادية . فلنا من ذلك أن أهل البادية كانوا في الميسرة ، وكان المهاجرون مع بعض قبائل الحمي في اليمينه ، والأنصار مع البعض الآخر من قبائل الحجاز في القلب . ويظهر أن الخيالة كانت في الامام فانسجبت إلى الميسرة لتراقب الوادي ، وكان الضعن وراء القلب وفيه الخيام والنساء . ووقف خالد بن الوليد وراء القلب يراقب سير القتال

صفحات القتال

نشبت المعركة صباحاً واستمرت إلى العصر . فبذل الفريقان قصارهما لتغلب أحدهما على الآخر واقتتلا اقتتالاً شديداً . وكما يقول الطبري كانت حرب لم يلق المسلمون مثلها قط

وجرى القتال في ثلاث صفحات : تغلب الحنفيون في الصفحة الأولى على المسلمين وأزاحوهم إلى الضعن وكادوا ينتصرون عليهم . وفي الصفحة الثانية كثر المسلمون راجعين فقتلوا على أعناقهم فأزاحوهم من المحل الذي وصلوا إليه . وبعد أن تضافرت

ويكاد المؤرخون جميعاً يتفقون على أن خالدًا بفراسته وبطولته أنفذ الموقف . ولولا قيادة خالد وجلادة الصحابة الذين لقوا حتفهم بعد أن أظهروا للمسلمين أمثلة حسنة ، لدارت الدائرة على المسلمين ولا ريب

الصفحة الثانية

تبدأ الصفحة الثانية بدعوة الرؤساء من المسلمين الى الثبات في محلهم والكر بعد ذلك على الأعداء

فثابت بن قيس الذي كان يقود الأنصار كان ينادى الأنصار قائلاً : « بشما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين ، هكذا عنى حتى أريكم الجلال » وقال زيد بن الخطاب الذي كان يقود القلب حين انكشف الناس عن رحاطهم — أى السكر — : « لا تجوز بعد الرجال » وقام البراء أخو أنس بن مالك ينادى قائلاً « أنا البراء ابن مالك . هلم الى » أما أبو حذيفة الذي كان يقود اليمينه فكان ينادى قائلاً : « يا أهل القرآن ! زينوا القرآن بالفعال »

وفي مثل هذا الوقت المصيب تدبر خالد الموقف ففكر في حيلة يبيد بها نخوة المسلمين ، ويزيد حماسهم ، ولا سيما لما رأى أهل القرى يمينون أهل البادية وهؤلاء يمينون أهل القرى وتكاد الروايات جميعاً تتفق على أن القبائل من أهل البادية انهزموا أول مرة فالتقوا الوهن في صفوف المسلمين . والظاهر من نتائج المعركة أن أهل القرى ثبتوا « فاستحز بهم القتل » كما يذكر الطبرى . وكان التدبير الذى توصل اليه خالد لينفذ الموقف ويتقلب على عدوه منحصرآ في أمرين :

أولاً — فصل أهل القرى عن أهل القبائل ، ووضع كل فريق منهم في جانب . فكان الأنصار والمهاجرون وأهل القرى الآخرون في جانب ، والقبائل في جانب آخر . لأن انهزام المسلمين أوقع الخلل في ترتيب المعركة ، فاختلطت الليسة بالقلب ، والقلب باليمينه ، وتخلت الناس عن رؤسائهم

ثانياً — طلب من كل جانب أن يمتاز ، وذلك لما رأى أهل القرى يعززون سبب الخيبة الى القبائل ، والقبائل تمزوا الخيبة الى أهل القرى . وفي هذا تناحر لدى الفريقين ، وإذا ما اشتد التناحر يؤدى الى التناقص

فصرخ في المسلمين طالباً منهم أن يمتازوا ليتبين من أين يأتي

الخلل . وكان يريد بذلك أن تبرز الفرق فلا ينسب اليها ذلّة الانكسار . ونال بذلك ما أراد . فامتاز أهل القرى والبوادي ، وامتازت القبائل من أهل البادية ، فوقف بنو كل أب على رأيهم كما يذكر الطبرى . فتولى خالد بنفسه قيادة صفوف أهل القرى ، فقاموا جميعاً قومة واحدة فقاتلوا قتال الأبطال . وكان خالد في أول الصف يشجع المسلمين يبطولته ولا يقابله أحد إلا قتله . وكان يفتش عن مسيلة ليقتله ، لأنه عرف أن الحرب لا تترك إلا بموته ، وأن بنى حنيفة لا تحفل إلا بقتله . وكان من أمر ذلك أن تشجع السلون فصدوا العدو

ويذكر الواقدي أن زيد بن الخطاب كان يحمل راية المسلمين فلما رأى أصحابه ينصرفون من أطرافه قال : « والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فأكله بجحيتي ؛ عضوا على أضراسكم أيها الناس ! واضربوا في عدوكم وامضوا قدماً » ولم يزل يشجع أصحابه الى أن قتل والراية في يده ، فأخذها أبو حذيفة ، فجادل بسيفه حتى قتل . أما ثابت بن قيس فكان يحمل راية الأنصار ، فنادى في قومه « المرزة لله ولرسوله ولأحزابه . أدروني كما أدركم » ثم جلد في الأعداء وقاتل حتى قتل . وتسلم راية المسلمين سالم مولى أبي حذيفة ، وظل يناضل عنها الى أن قتل ، فقتلها آخرون وقتلوا

وإزاء هذه الجهود التضاعفة والأمثلة المشجعة تمكن المسلمون من أن يرحزوا الأعداء من مكانهم حتى أزاحوهم تماماً ، فأخذوا يطاردونهم . وفي مثل هذا الحين أخذ محكم بن الطفيل المدعو بمحكم الحمامة يشجع بنى حنيفة منادياً : « يا معشر بنى حنيفة الآن والله تستحقب الكرائم غير رضيات ، وينكحن غير حصينات ، فما عندكم من حسب فاخرجوه » . فقاتل قتالاً شديداً

أما أهل الحمامة فلما رأوا المسلمين يركبونهم صرخوا في وجه مسيلة قائلين له : « أين ما كنت تمدنا ؟ » فأجابهم قائلاً : « قاتلوا عن أحسابكم » ، ولما رأى المحكم أن الدائرة دارت على بنى حنيفة صاح فيهم : الحديقة ! الحديقة ! يريد بذلك أن يتحصنوا فيها ويقاوموا المسلمين . فانسحبوا الى الحديقة واعتصموا بها . ويظهر أن المحكم لم يتمكن من الوسول اليها لأن عبد الرحمن ابن أبي بكر رماه بهم فقتله

يتبع

طه الراسمى

٣- محاورات أفلاطون

معذرة سقراط

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

— لملك يا صديقي مليتس تريد أنا كسجوراس (١) بهذا الاتهام . ويظهر أنك تسيء الظن بالقضاة ، فتحصمهم بلقوا من الجهالة حداً لا يبرنون معه أن تلك آراء مسطورة في كتب أنا كسجوراس الكلازوميني ، وهي مليئة بمثلها . وتلك التعاليم هي التي يقال إن سقراط قد أوحى بها إلى الشبان ، والواقع أنهم عرفوها من المسرح الذي كثيراً ما يرضها ، وأجر المسرح لا يزيد على دراجة واحدة ، ففي مقدور الناس جميعاً أن يشهدوها بهذا الأجر الزهيد ، ثم يهزأون من سقراط كلما نسب إلى نفسه تلك الأعاجيب ، ولكن حدثني يلميتس ، أفتظن حقاً أني لا أؤمن بالله ما ؟

— أستم بزقس أنك لا تؤمن بكائن من كان

— أنت كاذب يا مليتس ، ولا تستطيع أنت نفسك أن تصدق هذا القول ، ولست أشك أيها الأثينيون في أن مليتس هذا مستهتر وحق ، كتب هذه الدعوى بروح من الحقد والطيش والنور ، ألم يتكرر هذه الألعبوة ابتكاراً ليقدمني بها إلى المحاكمة ؟ كما نأقار لنفسي : سأرى هل يستطيع هذا الحكيم سقراط أن يكشف عن هذا التناقض المحبوك ، أم أني خادعه كما سأخضع بقية الناس ؟ فهو كما أرى يناقض نفسه بنفسه في الدعوى فكانه يقول : قد أجرم سقراط لأنه كافر بالآلهة ، ولأنه مؤمن بهم ، وتلك مهزلة ولا ريب

أيها الأثينيون ! إنه متناقض لا تستقيم روايته ، وأحب أن تتعاون جميعاً على تحقيقها ، وعليك يا مليتس أن تجيب — وأعيد الرجاء ألا تقاطعوني إذا تكلمت بأسلوب المعهود —

يا مليتس ! هل جاز لإنسان مرة أن يعتقد بوجود ما يتصل

(١) هذه العقيدة التي نالها مليتس عن سقراط هي في الحقيقة رأى في فلسفة أنا كسجوراس وكان قد اتهم به هنا بالالحاد لولا أنه فر من أثينا

بالبشر من أشياء ، دون أن يعتقد بوجود البشر أنفسهم ؟ إنني أحب منه — أيها الأثينيون — أن يجيب ، وألا يمدد دائماً إلى المقاطعة . هل اعتقد إنسان مرة وجود صفات الجياد دون الجياد نفسها ؟ أو وجود نفث القيثارة دون العازف عليها ؟ إن كنت تأبى أن تجيب بنفسك يا صديقي ، فأجيب لك وللمحكمة

كلا ! لم يفعل ذلك إنسان . والآن ، هل لك أن تجيب عن هذا السؤال الثاني : أيستطيع إنسان أن يؤمن برسول رويي الآلهي ، ولا يؤمن بالأرواح نفسها أو بأشباه الآلهة ؟

— إنه لا يستطيع

— يسرني أن أحصل منك بعمون المحكمة على هذا الجواب ، ولكنك قد أقسمت في دعواك أنني أثنى وأعتقد في رسل روحية الآلهة ، وسواء كانت تلك الرسل قديمة أم معدثة ، فأنا على أية حال أؤمن بها كما قلت وأقسمت في صحيفة الدعوى . ولكن إذا كنت أعتقد بوجودات الآلهة ، أفلا يلزم أن أعتقد بالأرواح وأشباه الآلهة التي بثتها ؟ أليس هذا حقاً ؟ مالي أراك صامتا ؟ إن الصمت معناه الرضى . فما هذه الأرواح وأشباه الآلهة ؟ إنها إما أن تكون آلهة ، أو أبناء آلهة ، أليس كذلك ؟

— نعم هو كذلك

— وإذن فهذا موضع التناقض المحبوك الذي أشرت إليه ، فأشباه الآلهة أو الأرواح هي آلهة ، وقد زعمت عنى أول الأمر أني كافر بالآلهة ، ثم ها أنت ذا تضيف أني مؤمن بها ، لأنني مؤمن بأشباهها . ولا يضيرنا أن تكون هذه الأشباه أبناء للآلهة غير شرعيين ، فسواء أعقبها الآلهة من الشياطين أو من أمهات أخريات كما يُظن ، فوجودها يتضمن بالضرورة — كما ترون جميعاً — وجود آباءها ، وإلا كنت كمن يثبت وجود البنات ويشكر وجود الجياد والحير . لا يمكن أن يكون هذا الهراء يا مليتس إلا تديراً منك لتبوني به ، ولقد سقت في دعواك لأنك لم تجد حقاً تهمني به . ولكن لن يجوز علي من يملك ذرة من فهم ، قولك هذا بأن رجلاً يعتقد في أشياء الآلهة ، هي فوق مستوى البشر ، ولا يؤمن في الوقت نفسه بأن هناك آلهة وأشباه آلهة وأبطالاً

حسبي ما قلته رداً لدعوى مليتس ، فلا حاجة بي الى دفاع قوى بعد هذا ، ولكني كما ذكرت من قبل لابد أن يكون لي أعداء كثيرون ، وسيكون ذلك دافعي الى الموت لو قضى علي به ، لست أشك في هذا ، فليس الأمر قاصراً على مليتس وأنتيس ، ولكنه الخلد الذي يأكل القلوب ، ويفرى الناس بتشويه السمعة ، فكثيراً ما أدى ذلك رجال إلى الموت ، وكثيراً ما سيقضى بالموت على رجال ، فليست بحمد الله آخر هؤلاء .

سيقول أحدكم : ألا تخجل يا سقراط من حياة يقلب أن تؤدي بك الى موت مباغت ، وعلى ذلك أجيب في رفق : أنت مخطيء يا هذا ، فان كان الرجل خبيراً في أى ناحية منه ، فلا ينبغي أن يتدبر أمر حياته أو موته ، ولا يجوز أن يهتم إلا بأمر واحد ، وذلك أن يرى هل هو فيها يعمل مخطيء أم مضيب ، وهل يقدم في حياته خيراً أم شراً . أتري إذن أن الأبطال الذين سقطوا في طروادة لم يحسنوا صنفاً ؟ فذلك ابن ثيتس الذي استصغر الخطر وازدراه حينما قرنه بما يظلم الشرف . ولما قالت له أمه الآلهة ، وهو يتحضر لقتل هكتور بأنه لو قتله انتقاماً لصاحبه بآروكلس ، فسيذكره هو بنفسه الموت . ثم قالت : « إن القدر يترصدك بعد هكتور » فلما سمع هذا ، احتقر الخطر والموت احتقاراً ، ولم يخشهما كما خشي أن يمينا حياة يدنسها العار دون أن ينتقم لصديقه ، فأجاب : « ذريتي أمت بعد موته ، فانتقم من عدوي ، فذلك خير من الحياة فوق هذه السفن ، فأظل عاراً على جبين الدهر تنوء بمحله الأرض » هل فكر أخيل في الموت أو الخطر ؟ فهما يكن موقف الرجل ، سواء اختار لنفسه ذلك الموضوع أم أقامه فيه قائمه ، فلا بد أن يلزمه ساعة الخطر ، ولا يجوز أن يفكر في الموت أو في أى شيء آخر غير دنس العار . إن هذا أيها الأثينيون لقول حق

بني أثينا ! كم كان سلوكي عجيباً ، لو أنني عصيت الله فيما يأمرني به — كما أعتقد — بأن أؤدى رسالة الفلسفة بدراسة نفسى ودراسة الناس ، وفررت مما كلفني به خشية الموت أو ماشئت من هول ، وأنا الذي حين أسرى القواد الذين اخترعوا للقيادة في بوتيديا ، وأمفيبوليس ودليوم ، لزمتم موسى ، كأى رجل آخر ، وأواجه الموت . ما كان أعجب ذلك ، وما كان أحقني

بأن أساق الى المحكمة بتهمة الكفر بالآلهة ، وكم كنت عندئذ أكون بعيداً عن الحكمة ، مدعياً إياها خاطئاً ، لو أنني عصيت الراعية خوفاً من الموت ؟ فليست خشية الموت من الحكمة الصحيحة فى شيء ، بل هى فى الواقع ادعاء بها ، لأنه تظاهر بمعرفة ما تستحيل معرفته ، فما يدريك ألا يكون الموت خيراً عظيماً ، ذلك الذى يلقاه الناس بالجزع كأنه أعظم الشرور ؟ أليس ذلك توها بالعلم ، وهو ضرب من الجهل الشائن ؟ وهنا — أراى أسمى مقاماً من مستوى البشر ، وربما ظننت أنى فى هذا الأمر أحكم الناس جميعاً — فإدعت لا أعلم عن هذه الحياة إلا قليلاً ، فلا أفرض فى نفسى العلم ، وإنما أعلم علم اليقين أن من ظلم من هو أرفع منه أو عصاه ، سواء أكان ذلك انماتاً أم السها ، فقد ارتكب إثماً وعاراً ، ويستحيل على أن أنحاشى ما يجوز أن يكون فيه الخير وأخشاه ، لأقدم على شر مؤكد ؛ ولهذا فلو أنكم أطلقم الآن سراحى ، ورفضتم نصيح أنتيس ، الذى قال بوجوب إعدائى بعد إذ وجه الى الأتهام ، لآنى لو أفلت فسيصيب الفساد والدمار أبناءكم باستماعهم لما أقول . لو قائم لى — يا سقراط ، إننا سنطلق سراحك هذه المرة ولن نأبه لأنتيس ، على شرط واحد ، وذلك أن تقف البحث والتفكير فلا تعود اليهما مرة أخرى ، ولو شاهدناك تفعل ذلك أنزلنا بك الموت ، إن كان هذا شرط إخلاء سبيلى أجيبت بما يأتى : أيها الأثينيون ! أنا أحبكم وأعبدكم ، ولكنى لابد أن أطيع الله أكثر مما أطيعكم ، فلن أمسك عن اتخاذ الفلسفة وتعليمها مادمت حياً قوياً ، أسألك بطريقتى أيضاً صادفت بأسلوبى ، وأهيب به قائلاً : ما لى أراك يا صاح تمنى ما سمعتك العناية بجمع المال ، وصيانة الشرف ، وذيقع الصوت ، ولا تنشد من الحكمة والحق وتهذيب النفس إلا أقلها ، فهى لا تصادف من عنايتك قليلاً ولا تزن عندك قليلاً ، وأنت ابن أثينا ، مدينة العظمة والقوة والحكمة ؟ ألا ينجلك ذلك ؟ فان أجب محدثى قائلاً : بلى ، ولكنى معنى بها ، فلن أخلى سبيله ليضى من قوره ، بل أسأله وأناقشه وأعيد معه النقاش ، فان رأيتة خلواً من الفضيلة ، وأنه يقف منها عند حد القول والادعاء ، أخذت فى تأنيه ، لأنه يحقر ما هو جليل ، ويسمو بما هو دنى وضيع ؛ سأقول ذلك لكل من أصادفه ،

أن أنير نفوسكم بالأفئاع والتأنيب ، ولما كان من المسير أن
تجدوا لى ضريباً نصيحى لكم أن تدخروا حياتى . نعم قد
أكون مزيجكم كلاً باغتمكم فأبقتكم من تماسكم العميق ، ولكم
أن تأملوا ، إذا ما صفتمونى صفة الموت ، كما ينصح أنيتس ،
— وما أهون ذلك عليكم — أن يهدأ لكم الرقاد بقية حياتكم ،
مالم يمث لكم الله ذبابة أخرى ، إشفاقاً عليكم . أما انى جنتكم
من عند الله فهذى آيته : لو كنت نكرة من الناس لما رضيت
مطمشاً ، باهال شتون عيشى اهما لأطوال تلك السنين ، لأخصص
نفسى لكم ، فقد جنتكم واحداً فواحداً ، شأن الوالد أو الأخ
الأكبر ، فأحلتكم على الفضيلة حملاً ، وليس ذلك ما عهدناه فى
طبيعة البشر . ولو كنت قد أفنت من ذلك أجراً أو جزاء لكان
لذلك مدلول آخر ، ولكن هل تجرؤ حتى وقاحة المدعين أن تدعى
أنى أخذت أجراً أو سميت إليه ؟ إنهم لن يفعلوا ، لأنهم لن يجدوا
لذلك دليلاً . أما أنا فنسدى ما يؤيد صحة ما أقول . وجسنى
بالفقر دليلاً

نركى نجيب حمرد

تيسع

الأسبرانتو Esperanto

هى حلقة الأتصال بين الشرق والغرب . ادرسها
وخطب بها المتكلمين بغير لغتك . الأسبرانتو لغة سهلة
غنية وبلينة

أرسل فى طلب القشرة نمرة ٣٠ وكذلك « المفتاح »
الذى يحوى أجرومية هذه اللغة ومفردات تبلغ ٢٠٠٠ كلمة
وهو يرسل نظير ٣٠ ملياً طوابع بريد أو قسيمة بريد للجوابة

مدرسة الأسبرانتو بالمراسلة لتسكلمى اللغة العربية

ص . ب ٣٦٣ بورسيد — القطر المصرى

سواء أ كان شاباً أم شيخاً ، غريباً أم من أبناء الوطن ، لكنى
سأخص بنائى بنى وطنى ، لأنهم إخوانى ، تلك كلمة الله
فأعلموها . ولا أحسب الدولة قد ظفرت من الخير بأكثر مما
قت به ابتغاء مرضاة الله ، وما فعلت إلا أن أهبت بكم جميعاً ،
شيئاً وشباناً ، أن انصرفوا الى أنفسكم وما تملكون ،
ويادروا أولاً بهذيب نفوسكم تهذيباً كاملاً ، وهانذا أعلنكم
أن الفضيلة لا تشتري بالمال ، ولكنها هى المين الذى يتدفق منه
المال . ويفيض بالخير جميعاً ، سواء فى ذلك خير الفرد وخير
المجموع . ذلك مذهبي ، فان كان هذا مفسداً للشبان ، فاللم لى
مود بالشباب الى الدمار ! أما إن زعم أحدكم أن ليس مذهبي هو
ذاك ، فهو إنما يزعم باطلاً . أيها الأثينيون ! سواء لى أصدعتم
بما يأمركم به أنيتس أم فلتعلم بغير ما يشير ، وسواء أصبت
عندكم البراءة أم لم أصبها ، فأعلموا أنى لن أبدل من أمرى شيئاً ،
ولو قضيت على بالوت مراراً

أيها الأثينيون ! لا تقاطعونى واصفوا الى قولى ، فقد وعدتمونى
أن تسمعوا الحديث حتى ختامه ، وإن لكم فيه خيراً . أحب
أن أفيض لكم بما عندى ، فان بعثكم على البكاء فأرجو ألا تقملوا .
أريد أن أصارحكم أن لوقضيت على بالوت فسيميكم من الضر
أكثر مما يصيبى . إن مليتس وأنيتس لن يؤذيانى ، لأنهما
لا يستطيعان ، فليس من طبائع الأشياء أن يؤذى فاسد من هو
أصلح منه ، نعم ، ربما استطاع له موتاً أو نقياً أو تجرداً من
حقوقه البدنية ، وقد يبدو له كما يبدو للناس جميعاً ، أنه يكون
بذلك قد أنزل به أفدح البلاء ، ولكنى لا أرى ذلك الرأى ،
فأهول به مصاباً هنا الشر الذى يقدم عليه أنيتس — بأن يقضى
على حياة انسان بغير حق . لت أكلبكم الآن — أيها الأثينيون —
من أجل نفسى كما قد تظنون ، ولكن من أجلكم ، حتى لا تسبوا
الى الله ، أو تكفروا بنعمته بحكمكم على ، فليس يسيراً أن تجدوا
لى ضريباً إذا قضيت على بالوت ، وإن جز أن أسوق اليكم هذا
التشبيه المضحك ، قلت لى ضرب من الذباب الخبيث ، أنزله
الله على الأمة ، التى هى بمثابة جواد لنيل عظيم ، ثقيل الحركة
لضخامته ، ولا بد له فى حياته من حافز . أنا تلك التباية الخبيثة
التي أرسلها الله الى الأمة ، فلا شاغل لى متى كنت وأنى كنت ، إلا

٣ - مصطفى كمال *

سيرة حياته

للكتاب الإنجليزي أرمسترونج

تلخيص وتعليق حنفي غالي

وعاش مصطفى كمال مع أمه في سالونيك بعد وفاة زوجها الذي كان يتعاضد وينفر منه ، وهناك حاول أن ينشئ مع زملائه من صغار الضباط فرعاً لجمعية الوطن ، فأخفق لأنهم كانوا في رية من أمره ، فلم يؤيدوه ولم يعارضوه ، كما كانوا يريدون أن يقفوا على حقيقته ويتبينوا أمره قبل أن يتصلوا به ويتعاونوا معه في أمثال هذه الغامرات . وأخير أسر إليه أحدهم أن بسالونيك جمعية ثورية كبيرة تدعى جمعية الاتحاد والترقي ، يجتمع أعضاؤها في منازل بعض اليهود من رعايا إيطاليا ، فيستطيعون أن يدبروا الخطة ، ويتشاوروا في أمرهم بأمن من بطش الحكومة ، ومنجاة من عيون الخليفة ، وبعد أن اختبرت الجمعية إخلاص بطلنا ، وأنست منه نفساً ثائرة وقلباً قلقاً ، دعت إلى الانضمام إليها فم لها ما تريد . وانخرط مصطفى في سلك أعضائها ، فألقى نفسه في جو لا يلائمه ولا يتفق وميوله ، إذ رأى من حوله أشخاصاً يتحدثون في أمور لا تعنيه ولا تتصل بتركيا التي يحبها ويفنى في سبيلها ، فإذا بهم من متاعب اليهود وما يلاقونه من اضطهاد في روسيا ، فهو تركي قبل كل شيء ، وهو معتز بتركته تياه بها ، ولا غرض له سوى إنقاذ تركيا من استبداد الخليفة ومطامع الدول الأجنبية ، وفضلاً عن ذلك فهو ما زال في الجمعية « أنا » صغيراً ، عليه أن يتلقى الأوامر بالطاعة والأذعان ، وعليه أن ينفذها بأمانة ونشاط . وهذا ما لا يرضى بطلنا الذي خلق ليأمر ويسود لا ليأتمر ويخضع ، فبرم بالجمعية وسخط عليها ، وأخذ ينقدها نقداً حاداً قارصاً غير متلطف فيه ولا متهاون قائل : إنه يسمع مناقشات بترنطية لا يميزها عمل خاسم ، وهو يريد خطة محكمة دقيقة ، ينفذها بكل ما وسعه من جهد ، وكل ما في نفسه من حرارة الإيمان والوطنية ، ولم يكن يرعى للرؤساء حرمة أو

* انظر عددي ٦٥ و ٦٦ من الرسالة

مقاماً ، فمن هم أولئك الذين يستأرون بالنفوذ ويستبدون بالأمر دونه ؟ أتور ذلك المجازف التهور ، أم جمال ذلك المظلم العقول المضطرب الذهن ، أم داود ذلك اليهودي الذئب الذي انقلب مسلماً ، أم نيازي ذلك الألباني فاقد التوازن ، أم طلعت ذلك الموظف المصلحي والذب البطيء ، فهكذا كان يرام بطلنا ، ويرى نفسه فوقهم أجمعين ، وهكذا يرى العطاء شديدي الأناية عظيم الثقة بأنفسهم ، وهي صفة لا بد منها لمن يتطلعون إلى مسابح الأفلاك . أما من ضعفت ثقته بنفسه ، وتنجى بمن نفسه لغيره ، فليقنع إذن بمدارج الأسماك . وكان يخاطبهم مخاطبة الأستاذ لتلميذه ، وحدث ذات مرة أن كانوا يتحدثون عن جمال ويمتدحون وطنيته فقاطبهم مصطفى كمال متهمكاً بهم ، وأخذ يلقي عليهم درساً عن العظمة الحقيقية . فلما التقى بجمال في اليوم التالي صارحه برأيه فيه قائلاً له إنه طالب شهرة ، وألقى عليه ما ألقى على زملائه بالأمس وقد كان زملاؤه الضباط يبغضونه لاعتداده بنفسه واستصغاره لشأنهم وسخره منهم ، كما كان اليهود لا يثقون به ، فلم يرتق إلى مراكز الماسونية العليا ، وظل بعيداً عن مركز القيادة أو بعيداً عنه .

ولم يكن في البيت أيسر نفساً ولا ألين جانباً ، ولم يكن يسمح لأحد غير أمه أن ينتقده ، وكان مع ذلك يأبى عليها التدخل في عمله أو المساس بكبريائه . وقد اجتمع في يوم من الأيام ببعض زملائه بالنزل ، فأخذ الخدم يتسمعون حديثهم من وراء الأبواب وأخبروا أمه ، فعارضت فكرته ، وقال أن يقنمها بصوابها ، فركبت رأسها وأصرت على رأيها ، وما كان الاثنان ليتفقا ، فقد كانت هي امرأة صادقة الإيمان وثيقة الاخلاص لقدعها ، بينما ابنها لم يكن يؤمن بشيء أو يجمل شيئاً على الاطلاق ؛ وأخيراً سارت الأم الرزوم ولدها العزيز في طريقه برغم اعتقادها في خطئه ، خشية أن يهجر المنزل فيشوق عليها فراقه ، ولكنها ظلت تمحدره سوء المنقلب وظلام المسير ، قائلة : إن من الحق التأثر بالخليفة والدين وقد سئم بطلنا الحياة المنزلية بما يتقلها من ثرثرة الأقارب ، وتجسس النساء ، وفضول الخدم ، إذ لم يكن أبغض إليه من الحد من حريته ، فهو يريد أن يكون سيد نفسه معها كلفه ذلك من مشقة وتمن ، فهجر المنزل ، ولكن ظل حبل الود متصلًا بينه وبين أمه ، فكان يزورها ويصنئ إليها

فرصة هذه الفتنة الداخلية لتصنع مع الأتراك حسابها ، فاستولت
النساء على البوسنة والهرسك ، واحتلت اليونان كريد ، وأعلنت
بلغاريا استقلالها تظاغرهما الروسية

أما في داخل الامبراطورية فقد شبت الثورة ببلاد العرب
وألبانيا ، واحتدم النزاع بين المسلمين والمسيحيين واشترأت
الرجعية بعنقتها تريد استعادة سلطانها البائد ، فليجأت الى الجيش
والشعب لأثارته على أولئك اليهود والملاحدة الذين يريدون هدم
الدين ، وتقويض خلافة المسلمين ، ونجحت هذه الدعاية الخداعة
البراقة ، ونار الجنود في الآستانة ، وقتلوا ضباطهم أو سجنوهم ،
وأعلنوا إخلاصهم للدين وولاهم لأمر المؤمنين ، واستولوا على
الآستانة وطردوا منها أعضاء الجمعية ، فلجأوا الى محمود شوكت
قائد الجيش بمقدونيا فتردد بادي الأمر لأنه كان من القريين
الى عبد الحميد ، ولكنهم وقفوا أخيراً الى إغرائه بمساعدتهم
والعمل معهم فسير أنور - وكان قد عاد مسرعاً من برلين -
على رأس فرقة من الفرسان كما ناط بمصطفى - وكان قد عاد من
طرابلس - رئاسة أركان الحرب ، وتقدم الجميع نحو الآستانة
فقبضوا على الثورة الداخلية ، وقبضوا على عبد الحميد ووضعوه
في « فيلا » صغيرة بسالونيك تحت رقابة الضابط فتحى القدوني
وأعادوا الجمعية الى الحكم

وكان أنور إبان هذه الحوادث ، الشخصية الفذة ، والبطل البارز ،
ترمقه العيون بالأعجاب والحب ، لأنه كان جندياً مقداماً جريئاً ،
كثير الانجاء الى الجمهورية ، فواتته الشهرة وسعت اليه ، بينما
ذهب مصطفى كمال في غمار النسيان والاهمال ، إذ لم يحظ بأعجاب
الشعب لترده ، ولم يكسب رضاء الرؤساء لصلفه ، حتى قالوا عنه
« إنه ذو كفاية ممتازة ، ولكنه جامد النسيم ، كثير التمرد على كل
أمر ، قارص النقد لكل شخص ، شديد الفرور ، لا يعيل اليه أحد ،
وهو كثير الاعتداد برأيه ، لا يشرك معه أحداً في الأمر »

وأبعده عن الحكم وأبقوه في منصبه ، فأكب على واجبه
بؤديه بهمة ونشاط ، وأخذ يدرس تاريخ نابليون وفون ملتكة . ثم
رقى في سنة ١٩١١ الى رئاسة أركان حرب القسم الثالث من الجيش
بمقدونيا

وقد أرسل في بعثة حربية الى باريس تحت اشراف الجنرال
على رضا ، وأحب رئيسه به وأثنى عليه . ولما عاد نيط به الاشراف

وكان يفتق بياض النهار مكباً على عمله ، كما كان يفتق معظم
لياليه في القاهي حيث يجتمع بزملائه أحياناً أو يذهبون الى مكان
خفي بعيد ، حيث يشربون ويدخنون ويدبرون الخطط
للثورة المقبلة

على أن بطلنا لم يكن ليرضى أن يكون جندياً خاملاً مغموراً ،
بل يريد أن يكون قائداً له شرف النصر ونخار القلبة والقهر ،
ولم يكن يحب الرؤساء أن يقرؤهم منهم ، فقل على توالي الأيام اتصاله
بالجمعية واشترآكه في أعمالها ، وأصبح أكثر ميلاً للمزلة والسمت
وبينما كان بطلنا في بعده وعزله إذا بالثورة تشب من غير
إنذار ، فسار نيازي على رأس فئة قليلة من الثائرين الى جبال
مقدونيا الجنوبية متحدوا الحكومة ، وحذا حذوه أنور ، وأصدر
في الحال منشوراً يعلن فيه الثورة . أما بطلنا فظل في سكونه
وعزله ، وأبي أن يشاركهم ، إذ لم يكن من طبعه المغامرة في
مشروع إلا إذا كان متين الأساس مقدرآ له بعض النجاح ؛
ولكن هذه المغامرة الجنوبية نجحت بأعجوبة ، وساعد على ذلك
سخط رجال الجيش على الحكومة لتأخر مرتباتهم ، فأبى بعضهم
أن يحارب بني وطنهم ، وانضم آخرون الى الثوار فسقطت
حكومة الظلم كما تسقط أوراق الشجر أمام الريح الضعيفة ، وقبل
عبد الحميد الحكم الدستوري قائلاً : إنه كان يعمل لهذه الغاية من
عهد بعيد ! ! وأتمى باللائمة على مستشاريه ، وألقى عليهم تبعه
الماضي الفاسد . وأثنى الجاسوسية ، ورحب بالثوار ، وعاد نيازي
وأنور ، وقد أسكرتهم نشوة الانتصار ، وتوجت رؤوسهم أكليل
الغار ، فاستقبلهم الشعب بحماسة فائقة تجل عن الوصف ، وقد
لقيهما مصطفى برفقة بعض زملائه ، ووقف الجميع في شرفة أحد
فنادق سالونيك ، وأعلن أنور منها الدستور على الشعب الذي
يرمقه بعين الإعجاب والاحلال ، ووقف من خلفه مصطفى وإن
ما به من المم والحسد ليكاد يقطع قلبه ويذهب بنفسه

وقد عاد الى الآستانة جميع من تقام عبد الحميد ، وأخذوا
يتنازعون السلطة والحكم ، وأرسل أنور ملحقاً حريباً في
سفارة برلين ، أما نيازي فعاد الى ألبانيا حيث اغتيل ، أما مصطفى
كالم فأرسل على رأس بعثة ليتفقد حال بطمية طرابلس ، ويكتب
عنها تقريراً للحكومة الآستانة

وقد خشيت دول أوروبا أن يستعيد الأتراك قوتهم ، فانهزت

الشمس في الطلوع

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

الشمس قد طلعت بوجه أروع
فوقفت مهوياً لحسن المطلع
وجهه كما تهوى الطبيعة سافر
ما إن عليه سوى السنى من برقع
في موكب نجم يزيد جلاله
لعم الأشعة في الفضاء الأوسع
هي في علوية أوجها وشعاعها
في كل ما تبدو له من موقع
بيضاء لولا ما بها من وخزة
لذاعت من جنبها لم أشبع
إني أدين بحسبها لا كالتى
أمتلى عليه جهله ألا بى
مرت تماورها الدهور وحسبها
أبدأ جديد بالشباب المتبع

أنظر إليها ففى تحكى عادة
ترنو اليك من الخلل الأرفع
ولقد بدت في خيلع^(١) من ضونها
أحسن بها لما بدت في الخيلع
تجرى بلا تعب إلى الغايات في
صمت على لقم^(٢) الطريق المبتع
لا تحرم الأرض الضياء فان جلت
عن موضع منها بدت في موضع
تنتد من شغف لها الأنظار من
حسرى تكمل من العياء وضلع

ظهرت على من السحاب كأنها
نار تشب على كتيب أشنع
ولقد علتها وهي تبحر ألقها
وظفاء حانية نحو الرضع
ودنا يطوف بها الغمام كضطل
بالتار يذكي جمرها أو مترمع
قد كان منها القرص أحمر فأنما
حتى اختفى في العارض المتجع
أما النجوم فتلك بعد تراكم
أخذته بين صدورها والأذرع
صور محببة وليس بمنكر
حوج الحياة إلى الجمال الأزوع
الشمس في طول النهار نجيتي
والشمس حيث ذهبت ذاهية منى
وكانما بيني وبين شعاعها
فبست قديم بالاوله أعى
مأذرت قرن الشمس الإهتر من
فرح قواد محتويه أضلبي

على مدرسة الضباط بسالويك ، ورغم كون بطلنا جندياً بفطرته
فقد كان يتطلع بنظره إلى السياسة دائماً ، ويجبول أن يجرب طالعها
فيها ، فلم يرعه هذا الذنب ، وأخذ ينقد زعماء جمعية الاتحاد
والترق نقداً لا ذعماً في غير تحفظ ولا خشية قائلاً إنهم ليسوا
جديرين بالحكم ، وإن الدول أخذ طمعها يشتد ويدها تطول عن
ذى قبل ، ولا سيما ألمانيا التي قبضت على مرافق البلاد الحيوية
وسيطرت على سكة حديد بغداد . أما في الداخل فلا يزال السخط
عاماً والفقير والبؤس غميمين ، ويجب القيام بعمل حاسم لإصلاح
الجمال . وأخذ الضباط يصغون إليه ويستمعون له ويطنفون حوله
فأرضى هذا كبرياءه ، وأصبح يشعر أنه ذو مكانة وخطر ، وأنه
يقتررب رويداً رويداً من قيادة حركة ذات شأن ، ونعى هذا إلى
سمع محمود شوكت ، وكان يعرف بطلنا ويقدر خطره ، لاسيما في
البلقان مصدر كل فتنة ومهد كل حركة ، فنقله إلى منصب آخر ،
وكان شوكت في تصرفه هنا كالستجير من الرمضاء بالنار ، فقد
سهل المنصب الجديد لبطلنا بلوغ دعوة إلى أنصار أكثر من ذى
قبل ، ولم يخفه تهديد شوكت ووعيده ، وظل في مهاجته لرجال
الجمعية وحملة عليهم غير خائف ولا متحفظ ، كما أخذ يستحث
أنصاره على طرد الأجانب لتصبح « تركيا للأتراك »

ولقد عظم خطر بطلنا حتى كتب أعران الحكومة إليها
ينفرونها ويحذرونها منه ويستحثونها على تدارك الأمر ، وطلبت
الجمعية معاقبته ، فبعث إليه شوكت بهمه بأنه يجرى الجنود على
الثورة ، فرد عليه رداً لم يكف في نظر شوكت لدحض التهمة
وتفنيها عنه ، كذلك لم يجد شوكت أدلة قوية تثبت إدانته فنقله
إلى المكتب الحربي في الأستانة لينعمه عن البلقان مستودع البارود
ومنبع الخطر وليستطيع مراقبة حركته وتتبع خطواته ، فلم يرد
هذا عن خطته ، وأخستيقرب من بعض سياسي الجمعية الذين
كانوا يفضون الألمان ويعتقون سفيرهم صديق أور الذى أخذ
يعمل بنشاط وكياسة لجمع تركيا آلة في يد ألمانيا ، وأخذوا هم
يشجعونه بعض الشيء ، إذ رأوا إمكان استخدامه ضد أور عند
الحاجة ، ولكنهم مع ذلك لم يستسيغوه ولم يقربوه كل القرب
لدهابه بنفسه ، فجز ذلك في نفسه وآله لشد الألم

وبينما هو يجاهد خصومه ويجاهدونه إذا بايطاليا تنزل
جنودها في طراباس وتحتل الساحل ما

الصبيح لما ابيض من أنوارها
والصبيح بعد الليل يحكى ضوءه
ولقد تيقظت العيون من الكرى
قد كان ليلاً قد تضايف دجوه
ثم انجلى متأخراً عما له
وبدت عليه ذلة فكأنما
لا تحزني مما لقيت من الأذى
ما أنت منى يا نجوم بأضيع

أخنى على ضوء النجوم الممتع
أملأً لذيذاً بعد يأسٍ موجه
ولفظن أحلام النفوس المتهيج
والليل يُدكي الحزن في المتفجع
قد كان في طغيانه من موقع
صفعته كف الصبح فوق الأخدع
ما أنت منى يا نجوم بأضيع

أما الحياة فانها لجميلة

بك يا «ذكاء» وإن أقضت مضجعي

يا حذا لو أنى من بعد ما
انى لأرجو أن تطلى من على
لاضير إن أبكى الدجى عيني قد
أقلت عن حب الحسان جميعها
بالشمس في الأفق البعيد تنزلى
جميل صدقى الزهارى

أردى يكون اليك يوماً مرجى
حتى ترى عند النهاية مصرى
مسح ابتسامك في النهاية أدمى
الآهواك قلت عنه بمقلع
لا بالعقيق ورامتين ولعلم

حسب قلبي

بقلم فريد عين شوكة

هات ماشئت من جفاك وهجرتك
وأشح يا حبيباً سوجهك عنى
واغمر الكون بالخبور مع الفدى
واستنن بالمهوى وضوق في ذرعنا
ضباع قلبي لديك يا لغزادى
هان شأنى عليك رغم سموى
وأنا البلبب الذى بك غنى

إن فى القلب ما يقوم بعذرك
حين تهفو عيناى فيه لسحرك
روعبس إذا استرحت لبشرك
حين أشكو إليك يا ضيق صدرك
منك لما نبذته خلف ظهرك
واعترازى مدى الحياة بقدرك
والتسيم الذى يضع بعطرك

يا نجى الضمير حتى ليدى الروى
يا كثير المعوق للعاشق المضى
قد ترشفت حلو عطفتك عاماً
وتربعت فى رضاك سريراً
صارخا فى الدجى البهيم وغيرى
وإذا أنت مستريح لنبرى

ع أما أن أمره بفكرك ؟
فى أرخى قد عيت بهجرك
وتجرت بعله كأس مبرك
ثم شرحت فى مهامه ففرك
يستشف الآمال فى ضوء فرك
وفؤادى عما يستريح لنبرى !

أيهذا الحبيب عذرك أنى
أنا كالطائر السجين فهما
حسب قلبي فى ذلك الغضب القا

لم أزل رغم ثورنى طوع أمرك
هاجنى الوجد لم أزل بهن أسرك
تل ما مر من رضاك وبرك

عمر بن العاص

والزعيم المصرى

للشاعر الاسكندرى عبد اللطيف النشار

حدونا ابن عمراً
عاهد الأقباط عهداً
وكذا المصرى إن قا
غير من شذ، ومن شذ
شذ عن أقباط مصر
ألب الروم عليه
وقضى الله لعمرو
فبولت وتسللى
وأنى الخائن فى الأ

حيناً أخضع مصر
حفظوه فاستمرا
ل وإن عاهد برأ
فلا يتقض أمرأ
رجل ناول عميراً
وأثار الحرب غلدا
فأباد الجيش دعماً
وقول الجيش أسرى
سرى وقد أخرج صددا

نجوم السينا

للأستاذ فخري أبو السعود

الى مؤتمر الفروسي

١ - بين القاهرة وطوس

للدكتور عبد الوهاب عزام

أطوى حديث السفر بين القاهرة وبغداد ، فقد وصفت هذه
الراحل من قبل في الكلام عن سفرى إلى مدينة العباسيين ،
وليس في هذه الراحل من جديد إلا السيارات الضخام التي تعبر
بادية الشام بين المدينتين الخالدتين : دمشق وبغداد . أعدت شركات
عربية ، وأخرى أوردية ، سيارات كباراً تسع واحدها أكثر من
عشرين راكباً في مقاعد وثيرة ، تريح المسافر صاحباً وتمكنه
من الأغفاء حتى يلقه النوم . ركبتنا إحدى هذه السيارات ،
فصلنا من دمشق صبيحة الثلاثاء سادس عشر جمادى الآخرة
من سبتمبر سنة ١٩٣٤) وبلغنا بغداد والساعة تسع من صباح
الأربعاء بعد سفر ست وعشرين ساعة

فهذه بغداد العظيمة في جمالها وكبرياتها ، تزدهم فيها أحداثات
التاريخ أكثر من ازدحام أهلها ، وتزخر فيها ذكري الماضي
أعظم من زخور دجلتها . ولله بغداد ، ما يستقر بها فكر زائرها
حتى يخلق في أرجاء العصور ، وثنايا التاريخ أمداً بعيداً . فما
يفتا البصر يترامى بين الرصافة والكرخ ، يبتنى أن يقع على موكب
من مواكب الخلفاء ، أو مجلس من مجالس العلماء ، أو حفل

طففت بالحمراء ..

للأديب حسين شوقي

طففت بالحمراء والقلب كليم أسأل الحمراء عن ساداتها
قلت : يا حمراء لم زهر النجوم لا تضيء اليوم في هالاتها ؟

قالت الحمراء : دع هذى الذكركم لا تذكرنى بما مرّ وفات
أفل الأبقار عنى واندرت زمن العزودهم المكرمات !

عَوْدَ فَوَادِكٍ مِنْ بَوَادِرِ فَنَنِ
مَا انْقَلَبَ إِلَّا بَضْعَةٌ نُوقِصَتْ
أَوْ تُوْفٍ مَا بِالْمَشْهَدِ الْخَلَّابِ مِنْ
مَاذَا تُبَيِّنُ الشَّائِعَةَ الْبِيضَاءُ مِنْ
تَجَلُّوْ خِيَالَاتِ الْجَمَالِ كَأَنَّهَا
تُبْدِي لِمَيْنِكَ كُلَّ أَعْيَدَ شَادِنِ
جَمَعَتْ مَلَأَحَاتِ الشَّعْرِبِ جَمِيعَهَا
مِنْ بَضْعَةٍ تُزْرِي بِكُلِّ خَيْصَمَةٍ
وَعَضِيضَةٍ تُضِي بِسَاحِي طَرْفِهَا
وَقَيْسَةٍ تُسْبِي بِوَجْهِ فَاحِمِهَا
وَوَضِيئَةٍ شَقْرَاءُ تَفْنَعُ كُلَّ ذِي
إِنَّ الطَّبِيعَةَ مَا تَزَالُ سَخِيَةً
أَبْدًا مُوَكَّلَةٌ بِهَاتِيكَ الدُّمَى
هَذِي حَوَارِيَّاتُ كُلِّ مَدِينَةٍ
خَلَمَتْ عَلَيْنَّ الطَّبِيعَةُ حُسْنَهَا
وَسَخَتْ عَلَيْنَّ الْحَضَارَةُ بِالْحَلِيِّ
دَوْمًا تَبْدَلُ حَالَهُ مِنْ حَالِهِ
بَيْتُهُ تُرْمَى فِي نَوْبِ زَوْجٍ نَاشِزٍ
حَتَّى تَكُونَ غَدًا بِتَوْلَا أَيْقَلَتْ
وَتَجُودُ أَحْيَانًا - وَغَيْرُ فَوَادِيهَا
مَنْ مِثْلُ هَاتِيكَ النُّجُومِ تَزُودَا
حَاكِيْنَ أَقَارَ السَّمَاءِ تَعَدُّدَا
وَتَحْدُنْ هَذَا الْعَمْرَ يَوْمَ رِيَاضَةٍ
وَتَرَكْنِ فِي جَمَالَيَاهَا وَضَلَالِهَا
مِنْ لَاعِنِ الشَّرِّ وَهُوَ مُنِيرُهُ
بَيْنَ الْحَيَاةِ وَبَيْنَ تَنْثِيلِ لَهَا

مَجْلُودَةٌ فِي مَعْرِضِ الْأَشْبَاحِ
لَمْ تَكُنْ أَشْرَابَ أَلْمَهَا يَأْصَاحِ
فَتْنٍ وَمِنْ غُرَيْرٍ وَمِنْ أَوْضَاحِ
سِخْرٍ وَرَاءَ سَرَابِيهَا اللَّطَاحِ ؟
أَطْيَافُ أَحْلَامِ رَاهَا الصَّاحِي
سَابٍ وَكُلِّ مَعْرِدٍ صَدَّاحِ
كَالطَّيْرِ مِنْ مَتَفَرِّقِ الْأَدْوَاغِ
وَخَيْصَمَةٍ تُزْرِي بِكُلِّ رِدَاحِ
وَلَيْقِيَةٍ تُفْرِي بِشَفْرِ أَفْوَاحِ
دَاجٍ وَفَجْرِ دُونِهِ مَنْصَاحِ
بَصْرٍ بَأَنَّ الْحُسْنَ شَعْرُهُ ضَاحِ
بِالْحُسْنِ تُولِيهِ عَطَاءُ سَمَاحِ
تَشْتَقُّهَا مِنْ حُسْنِهَا الْوَضَاحِ
لِلنَّاطِرِينَ تَجْمَعَتْ فِي سَاحِ
بِأَنَامِلِ فِي الْبَدَلِ غَيْرِ شِخَاحِ
فَرَقَانِ فِي الْوَضَاءِ وَالْفَيْتَاحِ
مَا بَيْنَ جِدِّ تَارَةٍ وَمِزَاحِ
يَحْتَسِي أَذَاهَا النَّاطِرُونَ وَقَاحِ
فِي طَهْرِ أَرْكَانٍ وَسَمْتِ صَلَاحِ
عَرَفَ الْأَسَى - بِالْمَدْمَعِ السَّحَاحِ
مِنْ بَهْجَةِ الدُّنْيَا بِكُلِّ مَرَّاحِ ؟
وَبَدَّذْنَهَا فِي الْحُسْنِ وَالْإِصْبَاحِ
وَمَتَاعِ الْأَبَابِ وَصِرْفِ مِرَاحِ
دُنْيَا تَلَاخِ دَانِمِهَا وَكَيْفَاحِ
وَمُدَّجِحِ يَدْعُو لِنَزْعِ سِلَاحِ
لَا تَتَّقِلُ الدُّنْيَا عَلَى الْأَرْوَاحِ

كركوك، فمازلنا في إكرامه واحتفائه حتى افترقنا؛ أهدى إلى وإلى الأستاذ المبادئ ديوان السيد محمد سعيد خيوي النجفي، فكان خير زاد للسافر. ولما وقف بنا القطار على محطة باب الشيخ ببغداد اشترى لنا قلة بغدادية روينابها في سفرنا. وقلل بغداد تقيّة الطينة، سريعة التبريد، تمتعت أن أحمل بعضها إلى مصرف لم يتيسر لي، وهي أمنية أعجزت الأستاذ الزيات من قبل

بلنا خاتقين والساعة أربع من الصباح، فبقينا في القطار حتى أسفر النهار، فزلنا وحملنا أمتعتنا إلى حجرة من حجرات المحطة، استبد بها الأستاذ الصراف فشاركنا فيها. ولبثنا ننظر قدوم مندوبي الحكومة الإيرانية حتى جاء القنصل الإيراني، وآقاي روشن المهانداز، التي كان طليعة ركبتنا في رحلتنا كلها. وعلما حينئذ أن موعد السفر غد، أول أكتوبر فتفرقنا. ذهب جماعة إلى دار القنصل، وآخرون إلى منازل أخرى. ودعانا صديقنا الصراف إلى دار صديقه عبد القادر صالح، معاون جرك خاتقين، وكلمه بالتليفون، فأرسل سيارته، فذهبنا إلى البار قاذا فتي نبيل من فتيان العراق، وكم في العراق من فتي نبيل؛ فلبثنا في ضيافته إلى سيحة اليوم الثاني، وسعدنا بصحبته وصحة موظفي خاتقين الكرام، وأحمدنا هذا التأخر الذي أتاح لنا هذه السعادة

وخاتقين مدينة صغيرة على حدود العراق، وعلى طريق خراسان، يمر بها نهر حلوان (حلوان چای) ويسمى نهر ألوند، وهو فرع من نهر دزالي أحد روافد دجلة. وعند المدينة قنطرة كبيرة من آثار الساسانيين. وقد وصفها ياقوت في المعجم. وكانت المدينة في العصور الإسلامية الأولى معروفة بالتمر والغلة، ولا تزال كثيرة التمر. وقد مدح ابن المعتز نيذها

وقال عتية بن الوعل التغلبي:

ويوم يا جبري كيوم مقيلة

إذا ما انتهى الغازي الشراب وهجرا

ويوم بأعلى خاتقين شربته

وحلوان حلوان الجبال وتترا

وفي خاتقين حبس كسرى بوزير النعمان بن المنذر حتى مات ويوم الأثنين اجتمع الندوبون عند محطة خاتقين، وجاء آخرون من بغداد منهم أستاذي سيردنسن روس، والشاعر الأنكليزي درنكوتتر، وعبد الكريم أنسدي الحسيني،

للأدباء والشعراء. ففي كل نظرة ذكرى خليفة، وفي كل فكرة حديث فيلسوف أو عالم أو شاعر

ثم يقع الفكر وقوع الطائر بمد طول التدويم، فيستريح من بغداد الحاضرة إلى أمة قد أخذت للمجد أهبتها، وأعدت للمعظم عدتها، وعرفت بين الأمم غايتها، وشقت بين الخطوب سبيلها. فسارت في مواكب من الهمة القعساء، والعزة الشفاء. تحمدها عزة إسلامية، وأنفة عربية. قد آلت لتسير سيرتها حتى تبلغ غايتها. وسير الله عينيها، ويمتو الزمان لأمرها

وما جهد هذا الدهر إلاهزيمة إذا نازلت عزم الكرام كتابه ذلكم ماض مجيد يمد حاضراً مجيداً، ذلكم تاريخ يتدفق من قم المجد الشاهقة في مجرى الزمات الماضية، إلى المستقبل الوضاء. ومن ذا يصد السيل إذا هدر، أو من ذا يرد على الله القدر؟ بل من يسلسل البحر بأواجه، ويرد الحر الأبى عن منهاجه؟ سلام يادار السلام! رعاك الله في كل خطوة، وخارك في كل عزيمة

دار السلام لا عدك المجد وارفة ظلالة تمتد

ولا حدا نجمك إلا السمد موصولة الآجال بالآجال

لاية مجدّد القرون

ان حديث بغداد لا ينفد، وجها في القلوب لا يمدد. وإنك أيها القلم لأعجز من أن تخط الزمان الماخذ، والتاريخ الخالد، والخطوب والمير، والقضاء والقدر، في هذه الأسطر. فحدث عن الرحلة إلى طوس؛ وحسبك أن تحمل «الرسالة» هذه الرسالة لبثنا ببغداد من صبح الأربعاء إلى عشية السبت، في حفاوة اخوان كرام، وسرور بدار السلام. ويوم السبت ركبتنا نحن والوفود التي قسمت ببغداد في طريقها إلى طهران، قطار الليل نؤم خاتقين. والمسافة بين خاتقين وبغداد زهاء مائة ميل، ولكن قطار خاتقين التمهّل يقطعها في عشر ساعات، فيمكن المسافر أن ينام ملء جفونه حتى يصبح. رحنا ببغداد والساعة ست مساء، وودعنا على المحطة القائم بأعمال المفوضية المصرية حافظ بك طاهر، ووزير إيران في بغداد. وسافر معنا الأديب الفاضل أحمد حامد الصراف بتدوين العراق إلى مؤتمر الفردوسي. وكلن التدوب الثاني الشاعر الكبير الزهاوي، قد سبقنا إلى خاتقين في سيارة. وصحبنا في القطار إلى منتصف الطريق الأخ الماهم ابراهيم الراعظ المحامي، وكان ذاهبا إلى

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

١ - تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

للأستاذ خليل هنداوي

فصول لم نرد بها التحدث عن الفلسفة للفلسفة ، ولكننا أردنا بها أن نبدي تأثير الفلسفة في تطور الأدب — الألمان ، وما كان لأصحاب الفلسفة من فضل صميم على هنا التطور الذي أصاب جميع حقوله الأدبية الطائفة

نمبر

الفلسفة الألمانية قبل (ثالث)

كانت تستمد ألمانيا مادة فلسفتها وأدبها من فرنسا طيلة القرن السابع عشر ، والفلسفة الديكارتية (١) هي الفلسفة التي كانت تتطرحها الجامعات الألمانية ، (وليبنتز) (١٦٤٦ - ١٧١٦) هو أول فيلسوف استطاع أن ييث الحياة في عروق الفلسفة الألمانية وينهب بها في مضار التقدم شوطاً بعيداً ، كتب الفلسفة باللغة اللاتينية طوراً ، وطوراً بالفرنسية ، وهما اللغتان السائدتان يومئذ ، ولعل شيوعهما واستثارهما بالكتابات الفلسفية كان يقرب كثيراً بين المفكرين والأدباء حتى يندو هذا التقريب أحد الأسباب العاملة على تشييد صرح اللغة وتزيينه وتجميله بما يستطيع فكر ناهض أن يضعه ؛ ولكن علة (ليبنتز) أنه كان يتناول المسائل الفلسفية كإداة فنية تلهو بها نفسه ، وهو خلال ذلك قد يعالج المسائل الكبرى ، كسألة الحياة والوجود ، وقد يوفق في الأجابة عنها توفيقاً كبيراً ، ولكنه كان واحداً من كثيرين ممن يعالجون الفلسفة ، ولا يعملون على لم أفكارهم حتى تكون مذهباً خاصاً يضم منها الآراء الناضجة وفكرتهم الخاصة في الحياة ؛ وجل ما وصل إليه في فلسفته أن عالج الجبر والاختيار ، ومعرفة الله وعلمه بالمستقبل ، والعتاية الإلهية ووجود الشر ، وألف مذهبته في (التفاؤل Optimisme) الذي يرضى عن الوجود ويحبب الوجود إلى الإنسان ، هذا المذهب الذي سخر منه (فولتير)

(١) نسبة إلى ديكرت الفيلسوف الفرنسي الذي يعزى إليه تطور الفلسفة الحديثة

والدكتور نظام الدين مندوباً حيدر آباد . وتقسماً السيارات فركبت أنا والأستاذ العبادي والأديب الصراف معاً ، وكانت حجة الصراف فألاً سميماً في هذه السفرة ، فقد نعمنا بحديثه وإنشاده من الشعر العربي والفارسي وتفضيه بالأغاني المصرية . كنا كلما نمدى بنا السير وماطلنا المدى ، فلنا هات يا صراف ، فانطلق ينشد من محفوظه الذي لا ينفد ، فيدوي صوته على الجبال الشاهقة ، وفي السهول الفسيحة ، فننشط له نشاط الأبل للجداء . وسندكر بعد طرفاً من أحدث الصراف . سرنا إلى الحدود في طريق ممتدة مقيرة ، فوقتنا قليلاً ؛ وجاء إلينا رسول إراني فترحب بنا وأعطانا دليلاً مكتوباً بالفارسية والفرنسية ، فيه طرف من أخبار البلاد التي نمر بها بين خاتقين وطوس . وهناك تركت الرقيقين الكريمين ، وركبت مع صديقي السيد عبد الكريم الجسيني مندوب حيدر آباد ، إذ كان في سيارة وحده فأردنا أن تؤنسه في السفر

بلتنا قصر شيرين بعد نصف ساعة ، فتوقفنا لشرب الشاي على الطريق . وقصر شيرين مدينة صغيرة على طريق خراسان ، وعلى نهر حلوان ، سميت باسم القصر الذي بناه كسرى بروج (٥٩٠ - ٦٢٨ م) لأمراءه شيرين

ولانزال أطلال قصور كسرى قائمة إلى الشمال والشرق من المدينة . وقد وصفها ياقوت فقال : « وفيه أبنية عظيمة شاهقة يكلل الطرف عن تحديدها ، ويضيق الفكر عن الأحاطة بها ؛ وهي إيوانات كثيرة متصلة ، وخلوات وخزائن ، وقصور وعقود ، ومتزهات ومستشرفات ، وأروقة وميادين ، ومصايد وحجرات ، تدل على طول وقوة »

ولانزال ذكرى كسرى وشيرين وعاشقها فرهاد الرازي (١) ، والمنفى بلهذه نظيف بهذه الخرابات ، وأساطيرهم تسمع في هذه الأرجاء

وحلوان المدينة القديمة المذكورة في الأخبار والأشعار قريبة من قصر شيرين . وكانت مدينة كبيرة عامرة ثم خربت منذ القرن الثامن ، فلم يبق منها إلا أطلال دارسة ، وبخلتنا حلوان وقصصهما وما قيل فيهما من الأشعار من الأحاديث النائمة

عبر الوهاب عزام

يتبع

(١) الرازي هو المعمار (Architecte)

أمه وأشائه تنشئة طالية ، فدرس في بدء عهد اللاهوت ، كما هو المهدي في دراسات تلك العصور ، ثم درس الرياضيات ، ثم الفلسفة ، حتى إذا أتم عهد الدراسة عرض له هم المعيشة ، المهم الذي كان يوقر ظهره في جميع أدوار حياته ، فرضى بأن يُدرس في مواطن خاصة ، وهو خلال ذلك يتفرغ إلى الدرس ، ويُلم بجميع العلوم التي توأم الفلسفة . وفي عام (١٧٧٠) أسند إليه كرسي خاص لتدريس الفلسفة ، وقد عاد أمره إلى الضيق ، وحرته إلى الأرهاق في عهد فردريك غليوم ، إذ تدافعت عليه الوشايات بخلفها حسد القوم ؛ ولكنه ظل مثابراً على العمل حتى عام ١٧٩٧ . وقد كان لعهد هذا تأثير بليغ في نفوس طلابه الذين جلت براعاتهم من بعده في صحف الأدب والفلسفة ، وهو الذي يوصى زملاءه في إحدى محاضراته : « بأن يحذروا كل الحذر من أن يُلقوا في نفوس طلابهم أن العلم بالغ أوج الكمال ، أو أن يعلمون ما هي ماهية الفلسفة ، وإنما ينبغي لهم أن يلقنهم كيف يتفلسفون ، وأن يساعدهم — لا أن يحملهم على ظهورهم — إذا أرادوا أن يعلمهم الدروج على الأقدام » . والحق يقال إن (كانت) لم يُخلق إلا ليعيش فيلسوفاً ، ولم يُلاق منه مذهبه إلا قريباً يحيا به ومعه ، ناهيك ببعض ما أثر رواها عنه القوم ، تدل على ما انتصف به كانت من حب العمل والنظام والتوقيت ومواصلة الجهود الجبارة في سبيل دراساته المتتالية ، فقد كان الرجل موفقاً كل التوفيق بين مذهبه وسلوكه ؛ قد سن لكل شيء نظاماً ، واتباع هذا النظام كأنه الرسول يأمر وهو أول من يأمر

وكانت آخر كلمة له هذه الكلمة حين لقي حنقه عام ١٨٠٤ :
« إنه حسن ! » كأنما يريد أن يقول « لقد عشت كما كنت أودُّ أن أعيش »

فلسفة

بدأت فلسفة « كانت » تنمو شيئاً فشيئاً شأن كل فلسفة ، وإنما تميزت من غيرها بطابع الاستقلال الذي انتحى بها ناحية جديدة ، فقد تأثر كانت بمن تقدمه من الفلاسفة واتخذ غذاءه العقلي منهم ، وما كاد ينشأ وترعرع ويشهد ساعده حتى أعلن انفصاله عنهم ونهج منهجاً جديداً أخطه لنفسه

في مقطوعته ززال (ليزبونة)^(١) وفي روايته (كانديد) ، وخير كتب لينينز الجمالدة كتابه (la monadologie) ، وفي هذا الكتاب يعلن انفصاله عن المذاهب المتقدمة ومروقه من مذهب ديكارث الذي جعل من الكون جزأين : أحدهما عالم الأرواح والآخر عالم الأجساد ، فجاء لينينز وتقض هذا المذهب ، وأحل محله مذهب (الجزء^(٢) الفرد la monade) الذي لا يتجزأ ولا يفنى ، وشأنه في مذهبه هذا كشأنه في غيره بفتقر إلى ترتيب وتوفيق وتوحيد

وهذا العمل الذي كانت تفتقر إليه آثار (لينينز) إنما أتمه وشذبه من بعده الفيلسوف الصارم (وولف) الذي زرع عن فلسفة لينينز الخيال والشعر وشد وثاقها بالحقبة ، ونفى عنها شيئاً وزاد عليها شيئاً حتى غدت أجزاءها متآلفة متداخلة كأنها أعضاء في جسد واحد . وقد كان له تأثيره العظيم في الأدب الألماني والفلسفة الألمانية بشهادة الفيلسوف (كانت) ، لأنه هو الذي خلق في الألمانية لغة للفلسفة خاصة ، وهو الذي فتح آفاقاً واسعة في التعبير والأداء لمن بعده ، فهان على هؤلاء أن يُجسِّدوا وأن يخلقوا ما استطاعوا ؛ ومن هؤلاء (كانت) نفسه ، الذي كانت له صفحات خاصة تشدو بالزايا التي أسداها (وولف) إلى الأدب وإلى الفلسفة

على أن الأندية الفلسفية قد تقض بصرها عن كل ما شاد هؤلاء في صرح الفلسفة ، وتعتقد أن الفلسفة الألمانية إنما كانت قبل (كانت) غيباً ممدوداً ، وأن الذي عما هذا الغيب وبعث النور في خلاله هو الفيلسوف العظيم (كانت) الذي ترعرعت له الأندية الفلسفية والأدبية ، وكانت له فيهما جولات يُعزى إليها كل ما غمر الحقل الأدبي والفلسفي — في ألمانيا — من خصب ومن إنتاج

كانت (KANT)

١٧٢٤ — ١٨٠٤

حياته : فلسفته : تأثيره

حياته

كان (كانت) في التاسعة من عمره حين فقد والده ، فكفله

(١) سبقت ترجمة المقطوعة للكتاب في الرسالة
(٢) الجزء الفرد كأن بسيط يدخل في المركبات ، لاجزئية فيه ولا ساحة ، ولكنه يصنف بصفات ، ومنه تشكلت عناصر الطبيعة ... (لينينز)

وهذه العلوم هي التي فتحت لنفسه أفقاً جديداً تركها لا يقنمها مدى الأفق الضيق الذي تخلفه المدرسة ، حتى إذا صرّت عليه أعوام عاد اليه حينئذ الى الفلسفة المقصودة بذاتها ، غارب المذهب الهندسية التي تعنى بالبراهين المنطقية ولا تعنى بالبراهين العملية ، وقد وضع كتاباً خاصاً ناضل به أصحاب العلم النظري

يستشهد (كانت) بكلمة لأرسطو « ترانا حين نكون شيوخاً نعيش سواء في هذا العالم نفيه ، ولكننا عند ما نترسل في الأبحلام والأوهام فكل مناله عاله ... » ثم يقول : « وحين يبني الناس دعائم الوجود كل بحسب رغبته ، فليأذنوا لنا بأن نقول : إن هؤلاء الناس يحملون ولكن هل يدفنا هذا الى القول : أن كل علم نظري فاسد ؟ لا . لأن العلم النظري قد يسد حاجة من حاجات عقلا ، ولكنه لن يكون ناجماً مفيداً إلا إذا كان موثقاً بحال معرفتنا . ويقول كانت : إن العلم النظري له عملان : يبيننا في الأول على أسئلة كثيرة يخلفها العقل الطامح الى كشف أسرار الوجود ، وههنا يكثر انخداعتنا بتأنيجنا على غير ما يتوقع ؛ وفي العمل الثاني يبين لنا ماهية المسألة التي نعالجها وموضعها من حدود إدراكنا ، وإمكان اتصالها أو استحالتها بتجاربتنا ومعارفتنا . وعلى هذا نرى العلم النظري إنما هو معرفة لحدود العقل البشري ، وهو كالبيت الصغير تري حدوده دائماً كثيرة ، وإنما ينبغي لهذا العلم أن يكون أكثر شغفاً بالمعرفة ، وأشدّ صيانة لما يملكه ، لأن ذلك أجدي عليه من انتصارات جديدة يركض وراءها ركضاً أعمى لا يقنيه شيئاً

هذا هو رأي كانت في العلم النظري ، وهذا الرأي نفسه هو الذي خلق كتابه (نقد العقل الخالص) هذا الكتاب الذي أظهر منية (كانت) وعلو كعبه في الفلسفة ، وكان له التأثير العميق في فلسفة أوروبا الحديثة

فيلسوف هنري

نصريب

وقع في مقال (لويس بيراندلو) المنشور في العدد الماضي خطان مطبعتان نرجو اصلاحهما . في آخر صفحة ١٩٨٩ : بريد بيراندلو ، والصواب : بريد . وفي صفحة ١٩٩٢ سطر ١٥ : (اكتشاف) حقيقة كانت مجهولة عن طريق الحركة ، والصواب : وليس عن طريق الحركة

وفي كتابه (آراء في التكوين الحقيقي للقوات الحية) حيث أراد أن يوفق في الفلسفة الطبيعية بين لينينز ودبكاترت يقول : « قد أمثل أن هنالك لحظات لا يفتق الانسان فيها أن يتمد على قوته ، إن هذا الاعتماد ليولد فينا جهوداً متواصلة ، ويمتجها سبيلاً يفيدها في سعيها نحو الحقيقة ، وجيل بنا أن نتخدد ألف مرة ، لأن الضال النخدع ليعمل على خدمة العلم أكثر ممن لا يسلك إلا السبيل الطروقة إنني هنالك ساطاً وقد سلكت السبيل التي أردت أن أتبعها سأسلكها ولن يقف سيرى أحد »

إن هذه الثقة المطلقة بالنفس بدأ يظهر فضل إنتاجها في فلسفة « كانت » لأنها فرضت عليه أن يخط سبيلاً جديدة ، ويطلع على الناس بمدرسة للفلسفة جديدة ، وهل كان المصاميون إلا أبناء اعتمادهم على أنفسهم ؟ وقد ظهر أول إنتاجه في كتابه (تاريخ الطبيعة العالي ، ومنهج السماء العام ، وتجربة على الأصل الميكانيكي للعالم حسب قوانين نيوتن) ، فكتابه هذا هو تجربة ميكانيكية سماوية مؤسسة على علم الطبيعة . فالعالم نيوتن لم يسن إلا قانون الحركات السماوية . وعند ما أتى على درس أصل هذه الحركات ناط الأصل بالأرادة الآلهية التي بدع لها كل شيء ، ولكن « كانت » أدرك أن القانون الذي أفاد في تعيين مذهب الوجود ، ينبغي له أن يحلل مركباته ، وأن القوات التي تحفظ الوجود ينبغي ألا تختلف عن القوات التي أبدعت الوجود . وأخيراً يفترض في بيان أصل الوجود أن مادة (Homogene) متشابهة مؤلفة من أجزاء متشابهة تقودها حركة دائرة ، وهي تتشكل وتتوحد بحسب ما يحتوى باطنها من قوة وفاعلية ، ثم يصف الخلاء (أو الفراغ) ، وقد استحال جواً غائماً ، وشموساً وسيارات وأقاراً ، ولكنه في الحقيقة لم يزد شيئاً ؛ إلا أنه سار بالمسألة التي وقف نيوتن عليها ، وهذه المسألة البهمة هي عديعة الحل في ذاتها ، إذ ليست الحياة إلا العمل اللائم قبله على وضعه ؛ وفصول أخرى جاءت في الكتاب تنمرها أنفاس شعرية تبدي لنا (كانت) في عهد كان لا يفر من عاطفته ، وقد تراه في بعض صفحاته يسوق اليك نظريات قد استغلها (لابلان) نفسه بعد خمسين عاماً

كانت العلوم الطبيعية هي شغل (كانت) في جميع أدوار حياته ،

العلوم

في تاريخ الرياضيات

للأستاذ محمد محمد السيد

أحدها بدون أن يأتي بجديد من الحثيات مؤيداً أو مفنداً جاء في تاريخ الرياضيات لبول^(١) أن أحد كتاب العرب في الأندلس ويدعى Arzachel (؟) (عاش في طليطلة حوالي ١٠٨٠ م) قال بحركة الكواكب في قطع ناقص . ولكن معاصريه أنكروا قوله لمخالفته لبطليموس . ومن العلوم أن يوحنا كبلر هو الذي توطد على يديه هذا الرأي حوالي ١٦٠٠ م ، ولكنه لم يشهر رأيه ولم يقتنع به ولم يدافع عنه إلا بعد مشاهدات وأبحاث استغرقت أعواماً عديدة . ولا شك أن فضل كشف هذه الحقيقة يجب أن يستأثر به كبلر وحده دون غيره . فالرأي نفسه عارٍ عما يميزه ، لا يقدم ولا يؤخر في العلم . ولكن المشاهدات والأدلة هي التي يقوم عليها الأقتناع والأقناع

ومن المشهور في كتب الرياضيات والعلوم أن جهد اليونان ثم العرب في العلوم الرياضية كان مقصوراً على الجانب النظري . ولم يكن للتجربة والملاحظة أثر فعال في كسب المعلومات إلا بعد عصر الأحياء في أواسط أوروبا . صحيح أن أثر العرب لا ينكر في الكيمياء والطب . ولكن تجاربهم في الفيزياء والرياضة التطبيقية نادرة . وحتى هذا النادر مختف في طيات الكتب القديمة ينتظر كوليس جديداً لكشفه .

ولذلك قرأت بشغف ما كتبه الأستاذ خاصاً بالجاذبية ، ومن أن العرب أخذوا فكرة الجذب عن اليونان « وزادوا عليها ووضعوا بعض القوانين لسقوط الأجسام » ، فإذا كان العرب قد وضعوا حقاً بعض القوانين لسقوط الأجسام ، فمعنى هذا أنهم سبقوا في ذلك جاليليو وتجربته الشهيرة التي أجراها من برج بيزا . والتي يقول علماء التاريخ بأهميتها في القضاء نهائياً على ما قال به اليونان من اختلاف سرعة سقوط الأجسام الثقيلة عن الخفيفة . فإذا كانت هناك تجارب في هذا الشأن أجراها علماء العرب

للأستاذ قدرى طوقان آثار مشكورة في الأمانة عن فضل العرب في الرياضيات والعلوم ، ومقاله الأخير في الرسالة^(١) يكشف عن بعض أثر العرب في تلك الناحية . إلا أنه بلوح لي أن حرصه على إنصاف العرب يكاد يدفع به إلى إسناد الفضل لغير أهله خذ مثلاً حساب التفاضل والتكامل . فالمعروف في تاريخ الرياضيات أن يودكوسوس (حوالي ٤٠٠ ق م) وأرشميدس (حوالي ٢٥٠ ق م) وغيرها كانوا سابقين في استعمال طرق تقرب من طرق التكامل في إيجاد المساحات والحجوم . فأرشميدس مثلاً أعطى مساحة أي قطعة من قطع مكافئ . وأوجد مركز الثقل لصفائح ذات أشكال مختلفة . الخ وفي كتابه (Method) نسب إلى ديموقراطيس (حوالي ٤٥٠ ق م) بأنه أول رياضي قرر المادة الصحيحة لحجم الهرم أو المخروط بتقسيم كل إلى شرائح صغيرة^(٢)

فإذا كان بعض مؤلفي العرب قد نجوا على منوال رياضي اليونان في حل مسائل عن المساحات والحجوم ، فهم لا يستحقون لذلك فضل الابتكر . ولو أن فضلهم في الدرس والشارحة مشكور غير منكور على كل حال

ومثل ذلك يقال عن دوران الأرض . فقد أبان الأستاذ بحق أن الفكرة قديمة . وقد تنازعها كثيرون من أعلام اليونان تأييداً وتقنيدياً . فإذا ظهر من العرب من يأخذ بها أو من ينكرها ، ففضله في ذلك لا يعدو فضل الحكم يختار من بين الآراء المختلفة

(١) الرسالة عدد ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٤

(٢) H. W. Turnbull تأليف The Great Mathematicians

(١) Ashort Account of the History of Mathematics تأليف

R. Ball الباب العاشر

الباب الثاني

و يقصد بها الجذر التربيعي للعدد ٤٨
ولاشك أن هذا الاستعمال ، إن صح ، يميز الأصل العربي
للاصطلاح المذكور وهو ما يتركه الأستاذ المبارك
أما حل العرب لمعادلات الدرجة الثانية جبرياً فلا فضل
لهم فيه ، فقد سبقهم ديوفانتس والهنود في ذلك . ولكن يرجح
أنهم اقتبسوا حلهم من الهنود . إذ لم تكن أعمال ديوفانتس قد
وصلت إلى علمهم بعد

ولكن العرب أضافوا حلولاً هندسية لمعادلات الدرجة
الثانية من ابتكارهم (١) . كذلك فعلوا بمعادلات الدرجة الثالثة
إذ أعطى كل من المهني (؟) Al Mahāni وأبي جعفر الخازن وأبي
الجود وعمر الخيام حلولاً هندسية لمعادلات الدرجة الثالثة (٢)
وقد حل عمر الخيام (٣) معادلات من الدرجة الثالثة من
الصور الآتية

$$س^٢ + ٢س = ٢٠$$

$$٦ س^٢ + ١ س = ٢٠$$

$$٦ س^٢ + ١ س = ٢٠$$

١٦٦ ٦٦ ٦٦ أعداد صحيحة موجبة

وحل أيضاً المعادلة من الدرجة الرابعة الآتية

$$١٠٠ (س - ١٠) (س - ١٠) = ٨٢٠٠$$

كذلك أعطى ثابت بن قرة (٤) حلاً هندسياً لبعض صور
معادلات الدرجة الثالثة (وهو في هذا يسبق عمر الخيام)

وقد يكون من المفيد أن ألفت نظر الأستاذ فيما يختص بإشارة
الناقص التي تستعمل للطرح إلى أصل محتمل لها وهو « النقطة
التي كان يستعملها الهنود ويضعونها فوق الكبيات المطروحة .
وقد تكون علامة ناقص من الشرطة التي كانت توضع فوق
الكتابات القديمة دليل ضياع أحرف منها . . . » (٥)

محمد محمد السيد

مدرس

- (١) انظر تاريخ الرياضيات المذكور أعلاه تأليف R. Ball تحت اسم
الحوارزي الباب التاسع
(٢) A History of Elementary Mathematics تأليف F. Cajori
في الكلام عن فضل العرب في الجبر
(٣) انظر تاريخ الرياضيات المذكور أعلاه تأليف R. Ball تحت اسم
الحوارزي الباب التاسع
(٤) انظر مؤلف Ball تحت اسم ثابت بن قرة الباب التاسع
(٥) انظر مؤلف Ball الباب الثاني عشر

فتفصيلها بضيفت زيادة ذات بال إلى المروف المشهور عن فضلهم على
العلوم والمعارف . ولعل الأستاذ يدلي بما وصل إليه علمه في هذا الشأن
ومثل ذلك يقال عما جاء في مقال الأستاذ عن « ابن حزمه
الغربي » واستماله في بحوثه عن التواليف الهندسية طرفاً تقرب
من اللوغارتمات (١) فمن المفيد نشر فضل هذا الباحث وآثاره في
هذه الناحية بالتفصيل خدمة للتاريخ

في المقال النفيس الذي ظهر في العدد التالي من الرسالة فصل
الأستاذ المبارك أثر العرب في الرياضيات ، ولكن فضل العرب
في الجبر يحتاج إلى بعض الأمانة

فقد ذكر الأستاذ أن العرب لم يستعملوا رموزاً حرفية في
معادلاتهم الجبرية ، وإنما استعملوا كلمات بأجمعها دون اختصار ،
وامل الأستاذ قصد الخوارزمي دون غيره في هذه الفقرة . وإلا
فمن المؤلفين العرب من استعمل الرموز كما تستعمل في الجبر اليوم
ففي مؤلف للقاصدي (Al Kalsādi) (٢) (توفي سنة ١٤٨٦ م
أو ١٤٧٧ م) . عنوانه (كشف الستار عن علم القبار) (٣) كان
يستعمل في المعادلات الجبرية الرمز (س) للجهول (أول كلمة
شيء) والرمز ٢ (ربما كان أول كلمة مال) لربمه ، والرمز ١ (ربما
كان الكاف أي مثل) لعلامة التساوي . فمثلاً المعادلة

$$٦٣ ١٢ ٣ = ٦٣ ١٢ ٣$$

كذلك جاء في هذا المؤلف أيضاً استعمال الرمز (ج) (أول
كلمة جذر) علامة الجذر التربيعي فكان يكتب

(١) قال الأستاذ في الكلام عن نايبير واخترعه اللوغارتمات : انه
في هذا الاكتشاف غير منافس . ولكن كاجوري في مؤلفه A History
of Elementary Mathematics يقول : ومن ينازعون نايبير في
اختراع اللوغارتمات السويسري Joost Bürgi أو Byrgius (١٥٥٢ -
١٦٣٢) اذ كان مع كيلر في براج . وقد لمرجناول في اللوغارتمات بالمخ
كيلر بعد ظهور مؤلف نايبير بنسب سنوات . ويلوح أنه اهتدى للفكرة
قبله (أي قبل نايبير) وربما معه

(٢) A History of Elementary Mathematics تأليف F. Cajori
في الكلام عن فضل العرب في الجبر

(٣) علم القبار ويقصد به علم الحساب . وهذه التسمية تدل على الأصل
الهندي للأرقام الحسائية ، إذ أن الهنود كانوا يستعملون في عملياتهم والحساب
ألواحاً يرشون عليها التراب ويخطون فوقه أرقامهم . وقد كان في هذا
عون لهم في عملياتهم الحسائية ، إذ كان أساس هذه العمليات عندم كتابة
الحواصل الجزئية ثم جمعها وكتابة الحواصل التالية وهكذا حتى لا يبقى على
اللوحة في النهاية ، مثلاً في عملية الضرب ، إلا المضروب والمضروب فيه
وحاصل الضرب

البربري الأدبي

الأدب البلغاري

بطابعه الخاص ، بحيث لا يطنى عليه أي طابع آخر ، وهذا الازدهار نتيجة طبيعية لحركة لا تدور حول نفسها عبثاً ، ولكنها تفتح صدرها لكل الرياح التي تهب عليها من كل مكان يتفتح فيه الذهن البشري ، فتزداد بذلك نماء وخصباً

ولم يبق الأدب البلغاري مجهولاً بعد في أوروبا الوسطى والغربية . فقد ترجم كثير من الآثار البلغارية ، إلى الألمانية والانكليزية ؛ وظهرت قطع مسرحية بلغارية في أنواعها الترجمة على كثير من المسارح الأوربية

في الأدب الفرنسية

دخلت منذ حين أربعة كراسي في الأكاديمية الفرنسية على أثر وفاة السيو بوانكاريه وسيو بارتو ، ومن قبلهما مسيو كاميل جوليان المؤرخ ، والماريشال ليوني ، وقد انتخب أخيراً مكان كاميل جوليان السيوليون بيرار السياسي والخطيب الأشهر ، وانتخب مكان الماريشال ليوني زميله الماريشال فرانش دسبريه . وأما كرسي السيو بارتو ، فأنهم يرشحون له مسيو دوسراج رئيس الجمهورية الأسبق ورئيس الوزارة السابق ؛ وهناك إجماع على انتخابه فيما لو قدم ترشيحه ، غير أنه لم يعرف رأيه في ذلك الاقتراح بعد

وستعقد الأكاديمية جلستها التالية في يوم ٢٠ ديسمبر الحال ؛ ويلقى مسيو بول فاليري خطاب الافتتاح وتوزع بعض الجوائز الأدبية

مؤلف هيرير عن نابليون

صدرت كتب عديدة جامعة بمختلف اللغات عن نابليون بونابارت وعن عصره ؛ وصدر أخيراً مؤلف جديد بقلم المؤرخ الفرنسي الكبير « لوى مادلان » عنوانه « نابليون » ويدرس مسيو لوى مادلان نابليون من ناحية جديدة ، هي ناحية « المنشئ » على الطريقة الرومانية . وكان من أشهر الدراسات التي صدرت عن نابليون في العهد الأخير دراسة لأميل لودفيج الكاتب الألماني يدرس فيها نابليون من نواحيه الشخصية والإنسانية ، ولكن

الأدب البلغاري من الآداب الأوربية القوية التي نشأت وازدهرت بسرعة مذهشة ؛ فالأدب البلغاري الحديث يرجع إلى نحو ثلث قرن فقط ، أي إلى عهد الاستقلال القوي ، ومع ذلك فقد سارت هذه النهضة الأدبية واستكملت عناصر النضج بسرعة . وقد نشر الكاتب البلغاري نيكولاي دونتشيف أخيراً كتاباً بالفرنسية عنوانه « المؤثرات الأجنبية في الأدب البلغاري » استعرض فيه مراحل الحركة الفكرية في بلغاريا وخواصها ؛ وملخص بحثه أن هذه الحركة على قوتها قد استطاعت أن تستكمل عناصر ثقافة تامة ؛ ومن الطبيعي أن تتجه قبل كل شيء نحو المثل والأمان السلافية ، على أنها لم تهمل الاقتباس من مختلف الآداب الأوربية التي تستطيع الانتفاع بها ؛ وقد ألقت الحركة لسانها وروحها في الوطن البلغاري والروح البلغاري ، ولم تتدخل المؤثرات الأجنبية إلا لتصوغ أو توجه هذه المادة القوية الأصلية ، ولكنها لم تحولها قط عن طرافتها وتقديمها الطبيعي

وقد استطاعت الحركة الأدبية البلغارية في مبادلاتها مع آداب الأمم الأخرى أن تنفذ إلى جميع نواحي الشعر والنثر والخواص النفسية ، وجميع مظاهر التفكير البشري ؛ ويشرح دونتشيف في كتابه مختلف التيارات التي اندمجت في المجرى القوي الذي أوجبه الاستقلال القوي ، ويبين كيف أن هذا الأدب القوي الذي استمد كل ثروته اللغوية ، قد تحول إلى مادة غنية تضم كل ما وهبته الأمم المجاورة أو كل ما بثته فيها

والأدب البلغاري ، ما يزال بلغارياً في روحه وجوهره ، وذلك رغم تأثره بالآداب الروسية والفرنسية والألمانية ، مما يدل على قوته وحيويته ؛ فهو لم يجمع قط لهذه المؤثرات خضوع العبد المساق ، وهو ليس مقلداً ولا ناقلاً فقط ؛ وكل ما هنالك أنه كالتلميذ الذي يستقي من أستاذه ، ليصوغ ما يأخذه في معدن عبقرته المستقبلية ، وهو لا يقتبس إلا ما يفيد في تغذية قلبه وروحه ، ويرفض كل ما هو سطحي أو مصطنع ؛ وكل ما يخرج به يتميز

هذا الشخص الشكل قد عاش في عصر لويس الخامس عشر ، وكان يتبوأ مركزاً هاماً في البلاط وفي سياسة الدولة وقد عرف الشقاليه ديون أولاً بأنه رجل ، وتولى بهذه الصفة بعض المناسبات ؛ ولكنه كان في ناعماً خلافاً يضارع في الحسن ورقة المحيا والتقاطيع أجهل فتاة ، وكان إذا مشل في الحفلات الراقصة يرتدى دائماً ثياباً نسوية فيبدو كأنه امرأة فانتة ؛ وكان في أحيان كثيرة يرتدى هذه الثياب ويؤثر الظهور بها ؛ وكان يتسلل بهذا الزي الى أعمق المجتمعات الرفيعة ، والى غرف الأميرات والملكات ؛ ولا وقف لويس الخامس عشر على مسلكه قضى بأن يعتبر امراً ، وأن يرتدى الثياب النسوية دائماً ؛ ثم خشي لويس الخامس عشر من دسائسه فأمر بسجنه في قلعة ؛ ولما أطلق سراحه فر الى انكلترا ، واحترف تدريس البارزة ، وظهر في المجتمع اللندني بأنه أستاذ بارع في الفن ؛ ولما توفي حفصه بعض الأطباء ، فيقال إنهم وجدوه رجلاً كامل الأعضاء والرجولة ولكن شخصية الشقاليه ما زالت غامضة . هذه هي القصة التي يعالجها السيو بروسون في مؤلفه الشائق ، ويفضل مسيو بروسون أن يعتبر الشقاليه امرأة ذات خواص غير عادية ، وأن صفة الأنوثة هي الأصلية فيه . ويورد في كتابه كثيراً من السير العجيبة عن هذه الحياة الدهشة التي لبثت تثير دهشة المجتمع الفرنسي مدى حين

البرامج والمسلكية العربية

إن محطات الأذاعة التي تذيع باللغة العربية اليوم هي :
 المحطة المصرية وموجتها وقوتها ومواعيدها معروفة
 ومحطة الجزائر وموجتها ٢٣١٨,٨ وقوتها ١٢,٥ لهر
 وتذيع باللغة العربية بوى الاثنين والأربعاء من الساعة ٢٠ الى
 الساعة ٢٠,٤٥ ، ويوم الثلاثاء من الساعة ٢٤ الى الساعة ٤,٤٥ ،
 ويوم الخميس من الساعة ٢٣,٥ بحساب الزمن في مصر
 ومحطة الرباط بالمغرب وموجتها ٤٩٩,١ وقوتها ٦,٥ لهر
 وتذيع بالعربية ساعة في كل يوم من أيام الأحد والثلاثاء والخميس
 والجمعة من الساعة ٢١
 ومحطة باري بايطاليا وموجتها ٢٢٨٣,٣ وقوتها ٢٠ لهر
 وتذيع بالعربية ربع ساعة في كل يوم من أيام السبت والثلاثاء
 والخميس من الساعة ٢٠,٣٠ ، ولا تذيع إلا الأخبار فقط
 وتلاحظ مجلة العالم الأدبي التونسية التي ننقل عنها هنا

دراسة لودفيج ينلب عليها الطابع السرحي ، وهو الذي ينلب على معظم كتابات لودفيج ، أما بحث لوى مادلان ، فينلب عليه الطابع النفسى والعلمى . وهو يرى في نابليون « لائياً » وارثاً للأمبراطور شارلمان ؛ ويراها امبراطوراً من طراز رومانى ، نام منذ عصر ماركوس أورنيوس ، ثم نهض فرأى العالم حوله أنقاضاً وأطلالاً ؛ ولكنه بدلاً من أن يتخذ رومة مركزاً لبنائه أتخذ باريس وجزيرة فرنسا ، وكانت فرنسا في نظره نواة مركزية لاتحاد أوربي جامع ، ولكنه لم يكن يرى الى طبع أوروبا بالطابع الفرنسى ، بل كان يرى في حريات الشعوب التي تتألف منها الأمبراطورية التاسعة ما كان يراه الرومان

ثم هل كان نابليون فرنسياً ؟ لقد كان يشعر أنه فرنسى ؛ ولم يكن في قوله : « لى أريد أن أتوى على ضفاف السين الى جانب أولئك الفرنسيين الذين شد ما أحببتهم » ما يدل على شعوره بأنه أجنبي ؛ وإنما كان شعوره أنه « رومانى » . وقد جاء هذا الرومانى في أواخر القرن الثامن عشر ، والعالم من حوله أطلال ممزقة ، فأراد أن يجي نوعاً من « العالم الرومانى » الذى يعتقد أنه ما زال حياً يمكن إنقاذه

أثاره الروب الفطاهى

لعل من الشائق أن يعرف القراء أنه توجد في باريس جمعية أدبية تسمى « أكاديمية الأدب الفكاهى » وأن هذه الجمعية تزعم حركة الكتابة الفكاهية ، وتمتج الكتاب الفكاهيين جوائز أدبية ، وتشجع بذلك على إنشاء الأدب الفكاهى ونهضته ، وقد وضعت هذه الجمعية أخيراً مكافأة قدرها خمسمائة فرنك (سبعة جنيهات) لمن يضع أحسن قصة فكاهية لا تزيد على ثلثمائة سطر ، ولا تقل على ثلثمائة سطر ، ولا تقل عن مائتين وخمسين ، (وستعنى الجمعية بنشرها في صحيفة باريزية كبرى) ؛ وتشمل هذه الجمعية أيضاً برعاتها أصحاب الفن الفكاهى مثل مصورى الصور الهزلية (الكاريكاتير) ، ومن اليهم من الفنانين

الشقالير ديون

ظهر أخيراً كتاب بقلم الكاتب الفرنسى جان جاك بروسون عنوانه « الشقالير ديون » La Chevaliere d, Eon ؛ ويتناول هذا الكتاب موضوعاً مدهشاً لازال لقرآن من أغاز التاريخ والمجتمع ، هو شخصية لم يتفق المؤرخون على جنسها ؛ هل كان الشقاليه ديون رجلاً أو امرأة ؟ ويجب أن تعرف أن

القصة

من الفن القصصي الحديث

حقيبة القدر

للقصصي الألماني لدنچ باور Ludvig Bauer

كان جورج شاباً هادئ الطبع فاضل الخلق ، لم يكذب بخرج من أزمة بسيطة اتناثته حتى استقل القطار قاصداً بلدة صغيرة ليشتغل فيها وظيفة متواضعة . وكانت كل شيء يبدو لجورج عادياً لا خطر له ، وقد مرت سنو عمره دون أن تتخللها مغامرة ، أو يعترها حادث خطير يهز حياته التي كانت أشبه بحياة أبناء الطبقة الوسطى ، وعند ما بلغ القطار عند منتصف الليل المكان الذي يقصده جورج أخذ حقيبته من الغرفة المكتظة التي كان يجلس فيها مولياً وجهه شطر حياته الجديدة

وصل جورج الى الفندق الصغير الذي عزم على الإقامة فيه ، وعند ما ذهب إلى سريره لينام نظر إلى الحقيبة ، وسرعان ما علمته الدهشة ، فقد كانت تشبه ولاشك حقيبته ، ولكنها لم تكن هي بذاتها ، على أن جورج خشى أن يكون مخطئاً في تقديره ، فحاول أن يفتحها بالفتاح الذي لديه ، ولكن عبثاً حاول . على أنه عندما ضاعف جهده انفتحت فجأة . وكانت أول نظرة ألقاها كافية لأن ثبت له أنه لم يكن مخطئاً . نعم كانت الحقيبة لشخص آخر .

البيان أن محطة الأذاعة المصرية إنما قصرت عن مجارة المحطات المالية الأخرى لعاملين اثنين : أولها ضعف قوتها ، فقد جعلوها (٢٠ ليرة) والعالم العربي منتشر من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، والأمة ذات اللسان المنتشر لا تكتفي بأقل من (٦٠ ليرة) ؛ وثانيهما أن موجتها ذات مقياس مشترك مع محطة الأذاعة الفرنسية لعاصمة البلجيك ، وذلك ولاشك يؤثر في قوتها ويزيد من اضطرابها . وهما ملاحظتان جديران بالنظر

أما حقيبته الأصلية وما فيها من سقط التاع وهو كل ما يملكه ، فقد كانت في ذلك الوقت تجوب الآفاق المجهولة حيث لا صاحب لها . ووجد جورج نفسه - وهو الذي لم يصادف في حياته مشاكل صعبة يحتاج لحلها - عاجزاً منذ اللحظة الأولى عن أن يجمع في ذهنه فكرتين أثناء ذعوله ودهشه . ما العمل الآن ؟ كيف يستطيع الحصول على البذلة التي يرتديها أيام الآحاد أو على زوج حذائه الثاني وسائر ملابسه ؟ كان جورج يأمل أن يجد في محتويات الحقيبة بعض المعلومات عن مالكها الحقيقي الذي قد يكون هو الآخر مستاء من استبدال حقيبته بأخرى ، لذا تبرع جورج يبحث أثناء نفضته في الملابس المتسخة عما يده على الشخص الذي أخذ حقيبته . وشمرت يديه برزمة من الأوراق ، فلما جذبها وجدها سلسلة من الخطابات والرسائل البرقية ، وأفلتت هذه الرزمة من يد جورج فانتشرت على أرض الغرفة رزمة من الأوراق المالية من كل نوع

لم يعرف جورج من هذه الأوراق الغريبة المتعددة الألوان إلا عدداً ضئيلاً . وجمع جورج الأوراق المالية واستمر في البحث ، فاكشف في قاع الحقيبة الفروشة بالورق ما يشبه وصادة متنفخة من الأوراق المالية المختلفة . ونظر جورج حوالبه وقد انتابه العجب والذهول منتظراً شخصاً يأتي إليه ليوقظه من ذلك الحلم اللذيذ الخفيف في وقت واحد . على أنه لم يأت أحد ، وبقيت الأوراق في موضعها دون أن تحتق ، كما لو كان الأمر حلاً من الأحلام . لم يكن جورج قد رأى من قبل مثل هذا القدر من المال . أخذ يسهه ، وكان جبهه للنظام يجعله يضع كل نوع من الأوراق على حدة ، دون أن يعرف بالضبط قيمة كل منه ، على أنه بعد بضع دقائق عرف جيداً أن ما أمامه ، قدراً بالعملة الذهبية ، يتراوح بين مليون ونصف ومليونين . وكان يستطيع حينئذ أن يقول لنفسه إن محتويات حقيبته قد دفع لها ثمن أكثر من الثمن الذي تساويه . على أن هذه الفكرة لم تخبط بباله . وكل ما كان يضايقه هو فكرة الاتصال بصاحب هذه الكنوز ،

واستبدال كل من الحقيقتين بالأخرى . قال لنفسه :

— لعل من الخطابات ما يدل على اسم صاحب الحقيقة وعنوانه كان جورج شاباً ذا خلق قويم ، لذا كانت فكرة البحث في الخطابات التي لم تُكتب إليه تضايقه وتؤله . على أنه في هذا الظرف كانت الضرورة ومصلحة كل من الطرفين تحمان عليه أن يفعل ذلك . لذا شرع يقرأ

قرأ جورج الخطابات فعرف من القراءة أشياء كثيرة لم يعرفها طول الثلاثة والعشرين عاماً التي قضاها في هذا العالم : أشياء لم تكن تخطر له ببال . لم يستطع جورج أن يفهم جيداً هذه الخطابات ، فقد شعر منذ ابتداء في قراءتها أنها ممثلة بالتمليحات والكلمات السرية والمصطلحات . على أنه استطاع أن يدرك أن هذه الأوراق المالية هي ملك أحد لصوص الفنادق ذوى النفوذ الواسع ، وكانت تصل إليه من شركائه ومن صديقه عزيزة كل أنواع العلوم والارشادات . ولعت أمام عيني جورج أسماء كثير من الأماكن والبلدان الأجنبية التي تمتاز ببنائها ورفاهيتها . وفي بلدة (كان) على الخصوص استطاع ذلك اللص الخطير أن يلعب دوراً رائئاً مع السامحين الأمريكيين . وفهم جورج من آخر خطاب أرسلته صديقه ذلك اللص إليه أنه يريد أن يضع حداً لقامراته ويلجأ إلى الراحة والعزلة . فقد كان الاثنان يملكان ثروة كافية . وكانا يستطيعان أن يعيشا من الآن حتى آخر العمر عيشة مدنية مريحة ، فقد كانت الحلوى قد بيعت بشمن ضخم ، ولم يبق إلا قفل من الزمرد كان يمكن أن يباع بمئتين ألف فرنك لولا أنه كان من المحتم أن تنتهي عملية البيع خفية وبأسرع ما يمكن . ولذلك يبع بشمن غير مناسب . وعرف جورج أثناء قراءته أن كل شيء قد أعد وأن السعادة الأكيدة كانت تنتظر الصديقين بعد محن عديدة وأخطار لا تعد لها أمكن التظلم عليها بمهارة وشجاعة

ووضع جورج رأسه في الماء البارد . كان من اللازم أن يتخذ قراراً . فقد كان وانقأ على الأقل أن صاحب الحقيقة سوف لا يأتي إليه ليستبدل حقيقته بالأخرى لأنه لا يجب أن يقبض عليه . كان أكثر الأمور احتمالاً إذن أن يلوذ اللص هارباً ببذلة جورج وحذائه وملابسه التي منها عدد من القمصان الجديدة كان يجلبها جورج ويفتخر بها . وأن يقع المصعب كله على كتفي جورج وحده . فهذه الحقيقة التي لديه تجعله هو الذي اخترق الجدران والأسطح ، وهو الذي تسليح بالليل البهم والسعس في

قبضته ليدخل الفنادق الفاخرة فيحطم صناديق الجواهر الموضوعة إلى جانب أحجامها السابحين في نومهم . على أن هذا اللص كان أيضاً بالنسبة لجورج المحسن المجهول ، فقد ترك له ثمرة حياته الاجرامية الطويلة الفعلة بالقامرات ، فبعد أن أراد ختام هذه الحياة والفراغ من هذه المهمة وبسد أن وثق من الندور قد في القطار يستريح مجهوداً مكثوداً ، أخذ جورج حقيقته دون أن يدري . ولا بد أن ذلك اللص الخطير قد تار في تلك اللحظة غاضباً يسخط حيناً ويقسم حيناً آخر لا يعرف إلى من يشكو ، لا عن ذلك السارق القدير الذي خدعه وأنزع منه قاعة أعماله كلها . تلك القاعة التي ضحى من أجلها كثيراً ولاق في سبيلها الأهوال . على أن هذا السارق القدير ليس في الواقع إلا شاباً من أسرة متوسطة قاضل الخلق طاهر الذليل ، لم يكذب في هذه المشكلة الخطيرة حتى أحس في عقله البسيط رعباً عظيماً وعذاباً مضمياً

وأخذ جورج قراراً سريعاً ، وقام لغوره وأغلق الحقيقة وتقدم نحو باب الغرفة متجهماً إلى مركز البوليس ليعرض مسأله : وقد أحس وهو يفعل ذلك بالهم والحسرة ، ولكنه كان يعزى نفسه كلما فكر في المكافأة التي يمكن أن يحصل عليها بسبب تبليغه ومساعدته في القبض على ذلك اللص الخطير . وأخذ يحسب ما سوف يناله من المال لو كانت هذه المكافأة خمسة أو ستة في المائة وجد جورج نفسه أمام دائرة البوليس ، ونظر الى الجرس متأملاً مفكراً ، ولم يكذب يضع أصبعه على الزر حتى تبدد حلمه في الغنى والجاه . على أنه بالرغم من ذلك سوف يدخن — عندما يقبض المكافأة — نوعاً من السجائر أغلى ثمناً من النوع الذي يدخنه ، وتذكر — وهو يدق الجرس — والديه الكرمين للتوفيقين ، وتذكر معها تلك الدروس القيمة التي كان يتلقاها منهما . وتذكر أيضاً تلك العبارة (إن المال المكتسب عن طريق غير شريف لا يأتي بفائدة) . وكان يقول لنفسه أيضاً : إن البوليس سوف يعثر عليه يوماً من الأيام . لقد دفعه كل ذلك إلى أن يدق الجرس بغير قوة ولا عزم ، ولكنه دق الجرس والسلام . وانتظر ... ولكن لم يجبه أحد . ودق للمرة الثانية واستمر واضعاً أصبعه على الزر ، وانبعث صوت شخص نائم يسأله ما يريد ، طالباً منه أن يعود في اليوم التالي ، لأن دائرة البوليس لا تفتح أثناء الليل . وسمع في ذلك الوقت صوتاً صاحباً هو صوت نافذة تقفل بنفس

عند ما رجع جورج الى الفندق بداهة فجاءه أن مشيئة عاوية

بعض الكتب الجديدة

(الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي) للأستاذ محمد هاشم عطية

(سهرات التونسيات) للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

(أيام بغداد) للأستاذ أمين سيد

ألف الكتاب الأول الأستاذ محمد هاشم عطية المدرس بدار العلوم، لينتفع به طلاب هذه المدرسة وطلاب كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية، وقد جملة قسمين يقمان معاً في نحو أربع مائة صفحة كبيرة. في القسم الأول تكلم الأستاذ أولاً عن معنى كلمة الأدب ومنشئها، ثم حدد العصر الجاهلي وانتقل إلى أقوال العلماء في الأدب الجاهلي، فأورد طرفاً منها في معرض التذليل على صلاحية هذا الأدب ليكون مرآة للحياة الجاهلية، ثم تكلم عن تاريخ الأدب والمراد منه وقائده وعلاقته بالتاريخ العام، ودرس جزيرة العرب وأصل العرب وطبقاتهم، ونشأة اللغة عامة والعربية خاصة وخصائص اللغة العربية، ومعارف العرب في الجاهلية، والنثر الجاهلي والشعر الجاهلي وخواصهما؛ ثم درس الملتقات درساً مفصلاً. وأما القسم الثاني من الكتاب فقد جملة للتراجيح بعد أن مهد له بفصل ممتع في النقد الأدبي وتاريخه وأصوله، وترجم فيه لأسماء القيس والناطقة وزهير والأعشى ولييد وطرفة وعبيد ابن الأبرص وأوس بن حجر وأميرة بن أبي الصلت

قال الكتاب كما ترى من وصفه حسن الترتيب حافل بالمعلومات التي لا بد منها لطالب الأدب، وهو في شكله المدرسي هذا كفيلاً بأن يفيد جمهور المثقفين من غير الطلاب؛ بيد أن هذا الشكل أو هذا الوضع المراعى فيه منهاج الدراسة قد حال بين الأستاذ على رغم ما يبدو من متانتها وضلوعته وسعة اطلاعه، وبين ما كان يتطلبه الكثير من الموضوعات من البسط والاستيعاب، ومن أمثلة تلك الموضوعات مسألة الانتحال والرواية والحياة الاجتماعية للعرب، وهما موضوعان أساسيان في مثل هذا الكتاب، وكثيراً ما يحول التقيد بالبرنامج بين المؤلف وبين ما يريد، فيجمل بحثه خاصاً أكثر منه عاماً، ويكون إلى إيراد المعلومات المتنوعة أقرب منه إلى

هي التي أرادت ألا تُسلم الحقيقة إلى دائرة البوليس. فقد فعل كل ما يستطيع حتى أنه عرض نفسه للخطر ولكن الله لم يشأ، لذا ترك جورج كل فكرة في الذهاب إلى دائرة البوليس واعتقد أنه يجب أن يكون أكثر شجاعة وجرأة. ومرة واحدة وجد نفسه عازماً على الاحتفاظ بالمال. ولم لا؟ ليس هو الذي سرقه، كما أنه ليس من الأجرام أن يأخذ الإنسان من لص خطير مالاً حصل عليه بطريقة غير شرعية. وأحس جورج دفعة واحدة بأحاسيس جديد، واكتشف في قلبه راحة خفية كانت ولاشك نتيجة شعوره بأنه غني. وفكر جورج في كل تفاصيل حياته المستقبلية. سوف لا يرجع مطلقاً إلى منزله. كذلك من البديهي ألا يبقى أيضاً في تلك البلدة الصغيرة، فسيتأهب أهلها العجب والرعب حين يرون التغيرات الكبيرة في عادته وميئته. على أن جورج لم يكن يعرف في الواقع ما سوف يفعله بكل تلك الثروة الهائلة، فهذا شيء جديد لم يتعلمه من قبل ولم يهيه نفسه له. وهو الآن يريد أن يستمد لتلك الحياة الجديدة ويتخذها أميتها بعد أن اختاره الحظ الزاهر ليتمتع بثروة ذلك اللص الخطير الذي ولد ليكون طول حياته سيء الحظ منكود الطالع

وعندما بلغ جورج المحطة ليستقل القطار فكر في ذلك المحسن المجهول دون أن تبدو عليه عاطفة الاعتراف بالجميل. بل كان يغمرة سرور من يلتذ بإيلاام النير

وبعد أشهر كان جورج يسكن قصراً على ساحل الريفييرا، وكان يرتدي أنغر الملابس وآنقها، وقد أصبح الجاه عنده أسراً طبيعياً جداً. على أنه في داخل نفسه كان يشعر بالضيق. وكان كلما فكر في أمره وجد نفسه ليس أكثر سعادة من ذي قبل وفي ذلك اليوم عندما أوشكت عينه أن تمضض سمع وقع أقدام وضيئة في ردهة القصر. ما الذي يحدث؟ ليس جورج ييجاته الحربية وخرج من الغرفة. لم يحدث شيء غير عادي، فقد قبض على أحد لصوص الفنادق في اللحظة التي كان يفتح فيها باب غرفة نوم جورج. ورأى جورج وجه الرجل الذي كان رجال البوليس السري والخدم يتمسكونه بقسوة ويسوقونه أمامهم. وبدأ لجورج أنه رأى ذلك الوجه. ولكن أين؟ وسرعان ما تذكر وقد ملاءه الرجل: أنه الشخص الذي كان يحتل القعد المقابل له في القطار يوم وقع حادث الحقيقة الشهير، وابتسم جورج ابتسامة صفراء والتي بنفسه ثانية على سريره، على أن نومه طول تلك الليلة كان قلقاً مضطرباً. على لامل

أجدنا أن ندفع عنا تلك الأنهات القاسية التي توجه إلى المرأة الشرقية في غير مخرج ولا استحياء ، وفي كثير من الجهل والأدواء

أما أيام بغداد فهو كما يعرفه الأستاذ المؤلف أمين سميد ، وصف شامل لهضة العراق الحديثة ولما له التاريخية ، والقارىء يذكر أن رسالة قد قدمت إلى قارئها منذ وقت قريب كتاباً كبيراً للأستاذ المؤلف هو « الثورة العربية الكبرى » . ومن هذين الكتابين تدرك مقدار اهتمام الأستاذ أمين بالشرق العربي ومدى حماسه له . أما هذا الكتاب فيقع في نحو مائتين وخمسين صفحة ، جيد الطبع متين الورق ، وهو كسائر كتب الرحلات يجمع بين اللذة والفائدة . ولا سيما أن موضوعه العراق ، ذلك القطر الغد في تاريخه

افتتحه المؤلف الفاضل بفصل في النقد في بلاد العرب ، ثم بآخر في سكة حديد فلسطين والاستعمار الصهيوني ، وبعد ذلك يتبدى رحلته في فصل عنوانه إلى بغداد ، فيتزكك من وسطك ويسير بك إلى تلك البلاد ، فإذا أنت معه على ضريح المغفور له الملك فيصل ، ثم إذا بك كأنك ترى حفلة التأيين الكبرى ، فوصف الأستاذ دقيق ، والموضوع ذاته يسهولك ويحيطك بجو خيال مليء بالصور . ولقد حافظ الأستاذ على هذه الدقة في وصف جميع الأماكن التي زارها والحفلات التي حضرها ، ثم أنه لم يقتصر على الوصف وعلى إيراد ما رأى ، بل تراه يحدثك عن بعض المسائل الهامة في العراق كالأمران في بغداد والمدرسة العسكرية في الكرادة ونهضة التعليم في تلك الديار ؛ وما هو أهم من ذلك كمدى نفوذ الانجليز هناك ومعسكراتهم ومطاراتهم ، وأخيراً تراه يحدثك عن الأشوريين وأحوالهم حديث من رأيهم وخبرهم بنفسه وأنا وإن لم أر العراق أحسن أنني قد استغدت من هذا الوصف ، ووقفت به على كثير من المسائل التي كنت أجهلها والتي كانت تشغل ذهني ، كما أنني استمتعت به كما لو كنت أرى هاتيك الصور على الشاشة البيضاء ، أما من حيث مطابقة ما ذكر الأستاذ للواقع ومقدار إحاطته بضروب الإصلاح والتعمير في العراق ، فالأمر في ذلك متروك للقارىء العراقي ولمن زار العراق من أبناء مصر وأهل الأقطار العربية

الضيف

التحليل والاستقصاء والاستدلال ، ولا سيما في المسائل العامة التي يبني عليها فهم الأدب فهماً صحيحاً ، وهذا واضح في القسم الأول من الكتاب ، أما في القسم الثاني حيث سمح المهاج للأستاذ بالتحليل والدرس الدقيق ، فقد تجلت براعته وأسالته وحسن ذوقه .

فإذا نحن تقدمنا الكتاب في شكله الخالي ككتاب مدرسي لا يسعنا إلا أن نضعه في عداد الكتب المدرسية الممتازة ، كما لا يفوتنا أن نرجو الأستاذ الفاضل أن يستغل علمه ومقدرته في بسط ما أجل في رسالة أخرى تنفع المتأدين عامة

أنتقل للقارىء بعد ذلك إلى هذا البحث الطريف ، الذي اضطلع به الأستاذ العالم التونسي الفاضل حسن حسني عبد الوهاب ، وهو بحث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الإسلامي إلى الزمان الحاضر

ذكر الأستاذ في مقدمة كتابه أن ما دعاه إلى وضعه ما جرى من حديث بينه وبين صديق له حول الكتاب المسمى (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور) وقد أشار عليه صديقه أن يضع كتاباً في شهيرات التونسيات ، فهزته إلى هذا العمل عاطفة قوية كان ثمرتها هذا الكتاب الذي أحدثك عنه . وقد تكلم فيه الأستاذ عن نابات النساء في تونس في الدور العربي ، والدور الأغلي ، والدور العبيدي ، والدور الصنهاجي ، والدور الحفصي ، والدور التركي ، والدور الحسيني ، وترجم في هذه الأدوار جميعاً لعدد من كرائم السيدات ، مبيناً ما أثرهن وأدهن في حديث طلي وعبارة قوية . ولن تقف أهمية هذا الكتاب عند الترجمة لهؤلاء الأوانس ، بل إنك لتجد المؤلف الفاضل يربط الموضوع بالتاريخ في مهارة وكياسة ، فتجد في كل دور من هذه الأدوار التي مر ذكرها ظلاً للعصر الذي يقع فيه ، وتطالع أروانا مختلفة من أروان الحياة الاجتماعية ، ومألوف الماديات والتقاليد ، هذا فضلاً عما كان يبتغى المؤلف في تنايا الكتاب من الحكمة والأدب والوعظة الحسنة ، والطرف الأدبية ، مما هو جدير بمن كان له مثل أربحيته وأدبه ، وإني إذ أقدم هذا المؤلف الطريف لجمهور القراء في العالم العربي آمل أن يخذوا حذوه المؤلفون في الشرق ، فما أحوجنا في نهضتنا الحديثة إلى مثل العليا في عالم المرأة ، وما